وكـــر الأفاعـــي

مسرحيّات

تأليف

د. ميســون حنّا

د. ميسون سليمان حنّا

وكْــر الأفاعــي

(أربع مسرحيات)

٢٠٢٠

التصنيف:

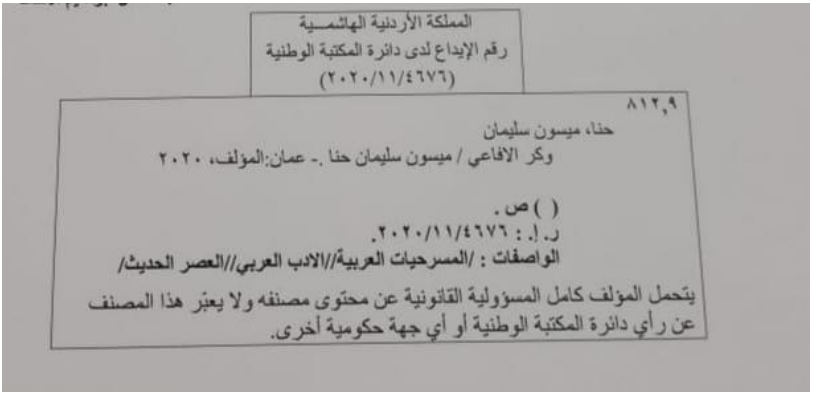
المملكة الأردنية الهاشمية
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٢٠٢٠/١١/٤٦٧٦)

٨١٢,٩
حنا، ميسون سليمان
وكر الافاعي / ميسون سليمان حنا .- عمان:المؤلف، ٢٠٢٠
( ) ص .
ر. إ. : ٢٠٢٠/١١/٤٦٧٦.
الواصفات : /المسرحيات العربية//الادب العربي//العصر الحديث/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

E-BOOK
ISBN 978-9957-67-711-4 (ردمك)

كافة الحقوق محفوظة للمؤلفة

❖ تنسيق وتنضيد وإخراج طباعي: الروائي محمد فتحي المقداد

وَكْرُ الأفاعي

(المسرحية الأولى)

شخصيات المسرحية حسب الظهور على المسرح:

-المغامر

-الثعبان، هو نفسه الزعيم

-الثعبان الثاني

-ثعابين جنود

-كبير الثعابين

-المهرج الأكبر، زعيم السيرك

-الرجل المقنع

***

*اللوحة الأولى:

(صحراء خالية، الشمس ساطعة، يدخل المغامر في ثياب لاعب سيرك، المغامر يبدو منهوك القوى، يجرجر خطاه)

المغامر: (يتوقف) نار الله الموقدة (يمسح عرقه عن جبينه بظاهر كفه) يداي متيبستان (لحظة) وساقاي كذلك.

(يدخل الثعبان وهو رجل يرتدي ملابس ألوانها تشبه ألوان جلد الأفعى، الثعبان يلامس قدم المغامر، المغامر لا يراه).

المغامر: الإنهاك (يتلفت حوله، يرى صخرة، يقترب منها، يهم بالجلوس، يتردد، الثعبان يتابعه بصمت).

المغامر: لا تستسلم أيها المغامر، هذه فرصتك لتبحث عن نقلة نوعية ترفع شأنك، وتحقق ذاتك ثم تعود إلى السيرك شامخاً، منتصراً (بضعف) ولكن، ربما أكون متورطاً في قدومي هنا (لحظة) آه العطش، العطش والجوع، إن بقيت على هذا الحال انتهيت، ربما ينطفىء النور في عيني، ويتوقف النبض في عروقي (لحظة) ولم لا أجاهر بالحقيقة المفزعة وأقول...

الثعبان (مقاطعاً فجأة) ميت أنتَ لا محالة. (المغامر يراه، يشعر بالفزع، لحظة ثم يتمالك).

المغامر: ويحك، قلت ما كاد ينفلت به لساني حرفياً... من أين ظهرت لي؟

الثعبان (يضحك) سؤالك سمج لأني متواجد هنا بطبيعتي. أما أنت فتواجدك مريب وغريب (يتأمله) مهرج أنت؟

المغامر: تقريباً.

الثعبان: أحب المهرجين، ولكن طموحي يتعدى حدود التهريج.

المغامر: طموحي ليس له حدود يا هذا.

(لحظة يتبادلان النظرات بتمعن).

المغامر: لا أخفيك إني أشعر براحة قربك، برغم الاختلاف بيننا.

الثعبان: هذا يخيل لك فقط (يبتعد عنه بنفور) هناك تنافر حاد يبعد أحدنا عن الآخر.

المغامر: صدقت... أنت مقزز بطبيعتك.

الثعبان: (يضحك بسخرية) وأنتَ تافه ومغرور... و... وبشع.

المغامر: ومع ذلك أراني مشدوداً إليك.

الثعبان: لأنك خائر القوى، تتشبث بقشة.

المغامر: ربما، ربما.

الثعبان: حذار إذن فقد تؤذيك شوكتي وليس قشتي كما تتوهم.

المغامر: أُف منك ومن حديثك.

الثعبان: لم تسمع شيئا بعد.

المغامر: رفقتك منغصة... وضرورية.

(الثعبان يضحك، المغامر يتلفت حوله).

الثعبان: أنت في صحراء لا نهاية لها كما ترى.

المغامر: نعم، يبدو هذا.

الثعبان: (بمكر) مع أن لكل أمر نهاية، فها أنت تطوف وتطوف، وقد يأتي أجلك وأنت على هذا الحال وتنتهي. (ينظر إليه بلؤم)

المغامر: (منقبضاً) أنت تزيدني غمة فوق غمة وأنا كدت آنس لكَ برغم خشونتك فكلانا منقطع.

الثعبان: انت المنقطع يا عزيزي، أنا فقط اتريض في نزهة وسط الرمال. (يضحك) لست منقطعنا عن أبناء جنسي اللذين يتواجدون هنا، أما أنت

(ينظر إليه بخبث) فقد اتخذت مسرباً غريباً، شائكاً، قد يلتف حولك ويخنقك.

المغامر: مالك تُهول الأمر علي، أنا والله متوجس شراً، خصوصاً بعد أن فقدت طاقتي في بيئة غريبة علي.

الثعبان: تحول إلى ثعبان مثلي فتأنس المكان.

المغامر: ولِمَ لا تتحول أنت إلى إنسان وتكن رفيقي.

الثعبان: نموت معاً لو جاريتك، لأنك لا تتأقلم مثلي لتعيش هنا، وقد اعترفت بقسوة البيئة عليك قبل قليل.

المغامر: أنت إنما تلهو بي وتتفكه.

الثعبان (يضحك) كما أني لست مضطراً لمرافقتك، (المغامر يجلس، الثعبان ينظر إليه بسخرية).

الثعبان (ساخراً) خارت قواك أيها التعس، (يصرخ) أنهض (يسحبه من يده، ينهض مترنحاً. الثعبان يقهقه بسخرية.

المغامر (مترنحاً) لن أجلس... لن اتيح لك فرصة التهكم بي.

الثعبان (يضحك) والشماتة... لا تنس الشماتة. (يصمت وينظر إليه) أنت مسلّ يا هذا... (يضحك بصخب، المغامر ينظر إليه بقلق وضعف بينما تهب فجأه سحابة غبار، تلفهما معاً، فيندمجان في كائن واحد نصفه إنسان والنصف الآخر ثعبان. أخذا ينظران إلى نفسيهما بدهشه، وبعد مدة من التفكير والصمت، قال المغامر).

المغامر: إلتصاقك بي مدني بالطاقة بعد أن كادت حياتي تنطفيء.

الثعبان: هذا شؤم.

المغامر: أصبحنا نرتوي من دم واحد.

الثعبان: قلت لك هذا شؤم.

(ينظران إلى نفسيهما حائرين)

المغامر: إلتصاقنا مزعج برغم كل شيء، لأنني لا أستطيع أن أحتفظ بآدميتي، ولا أنت بثعبانيتك.

الثعبان: ألم أقل لكَ أنه الشؤم.

(يدخل ثعبان ، يلمحهما لحظة ويولي هارباً، الثعبان يكتئب).

المغامر: (يبادر بمكر) ستجعل الإنسان يفر مني ذعراً لمظهري وأنت ملتصق بي.

الثعبان: كاذب وخبيث، لأنك تعلم أن الإنسان نادر التواجد هنا، ولكنك رأيت بأم عينك كيف نَفرت الأفاعي مني بسببك فآثرت أن تبادر بالتذمر لتقطع علي فرحتي ولكن هيهات أن ينطلي علي خبثك، والمصيبه الأعظم هذا الإلتصاق المشؤوم (بحقد) أنت طفيلي يا هذا.

(المغامر يضحك)

الثعبان: ما يؤرقني أني لا أستطيع أن أنفث سمي فيك وأقتلك لأموت بعدك بقليل إذ لا حياة لكائن نصفه ميت.

المغامر: وأنا لا أستطيع إلاّ أن اشتمك، وأشتم الساعة التي جمعتني بك.

الثعبان: وتشتمني أيضاً؟ (يصرخ) لِمَ لا تنفصل عني إذن وتدعني أعيش في سلام.

المغامر: ثم أموت وحدي (يصرخ) لا.

الثعبان: ألم تفكر بالموت عندما اخترت هذا الطريق؟!

المغامر: هوس المغامرة حذفني إليه، والآن بعد أن أدركت أن الموت كان قريباً مني إذ كنت خائر القوى، بت أجد نفسي قد انقلبت إلى كائن يتشبث بالحياة وهي تهرب منه، وبما أنك انجدتني علي أن أحتفظ بك.

الثعبان: وأنا لا أريد هذا الاحتفاظ.

المغامر: (متملقاً) أنت سلوتي الآن على كل حال.

الثعبان: سبحان الله، تشتمني وتدعي إني سلوتك.

المغامر: الظروف شاءت هذا.

الثعبان: شاءَت أن تشتمني؟

المغامر: بل شاءت أن تجعل كلينا أنيس الآخر.

الثعبان: لا تراوغ.. الموت يهددك من دوني.

المغامر: (بتحد) ويهددك أيضاً.

(الثعبان يضحك بسخرية)

المغامر: (متراجعاً): حسناً، أُقر أنك انجدتني.

الثعبان: فقط.

المغامر: وأني بحاجتك.

(الثعبان يضحك بسخرية)

المغامر (مستدركاً) ولكنك بحاجتي أيضاً... هذه حقيقة وعليك أن تقر بها.

الثعبان: أنتَ أناني بشع وعلي أن أنهي هذه المهزلة بأن أنفصل عنك الآن.

المغامر: (بذعر) لا... لا تفعل.

الثعبان: بل سأفعل.

المغامر: (متلطفاً) لن أشتمك، صدقني.

(الثعبان يبدو متردداً)

المغامر: ولن أناكدك، هذا وعد... بل سأدين لك بالعرفان.

الثعبان: ولكني أريد التحرر منك ومن قرفك.

(لحظة حرجة، ينظران إلى بعضهما بتوتر وصمت وسكون).

المغامر: (بتحد) ومع ذلك أنت لا تحرك ساكناً.

(بتحد أكثر) أنت لا تريد فقدي.

الثعبان: صدقت.

(المغامر يضحك)

الثعبان: لا تبتهج كثيراً، أنا فقط أرجيء قراري إلى حين أن ألتقي برفيق من أبناء جنسي فاستغني عن رفقتك.

المغامر: (بشماتة) سيولي فاراً كسابقه.

الثعبان: لن أُعطيه فرصة الهرب، سأسرع في الإنفصال عنك، وألتحق به وسترى.

المغامر: ولكن...

الثعبان: (مُهدداً) صحبتنا مرهونة بظهور أحد الثعابين.

المغامر: ليصبرني الله إلى ذلك الحين.

الثعبان: (لاهياً) وقد أغير فكري فأنفصل عنك قبل هذا.

المغامر: لن تفعل لأن لك بي منفعه.

الثعبان: نعم، مع اني لم أتبينها بعد.

المغامر: صبراً إذن.

الثعبان: قد لا أقوى على الصبر فارفسك، وأخلص منك، واستغني عنك.

المغامر: بل لنبقى كما نحن.

الثعبان: هذا يتطلب مني كثيراً من التهاون الذي لم اعتده.

المغامر: (بقلق) لن تندم عليه بإذن الله.

الثعبان: استبقيك إذن بشرط.

المغامر: ما هو شرطك؟

الثعبان: تصبح عبدي.

المغامر: هذا كثير، هذا والله ظلم.

الثعبان: هذا شرطي الوحيد (مهدداً) وإلاّ...

المغامر: ما كنت انتظر هذه النهاية.

الثعبان: طموحك قتلك.

المغامر: بل سأحيا رغماً عنك.

الثعبان: هالك أنتَ من دوني.

المغامر: إذن سأحتفظ بك.

الثعبان: كيف؟

المغامر: موافق على شرطك.

الثعبان: (يضحك) ليس لكَ خيار آخر.

(المغامر صامت، مطرق في تفكير)

الثعبان: فيم صمتك الآن؟

المغامر: إنما أفكر كيف آل لكَ أمر قيادتي بهذه السرعة؟

الثعبان: (مبتهجاً) الدهر قُلبّ.

المغامر: قلت هذا، فما علي إلاّ الانتظار.

الثعبان: لن ادعه ينقلب إلى جانبك بعد اليوم.

المغامر: سنرى.

الثعبان: نحن معشر الثعابين نتصف بالمكر الذي لفت أنظاركم فكتبتم عنا الروايات، ومن حذى حذونا منكم ذاق الويل أو أذاقه لمن حوله، حتى أنكم اقتتلتم فيما بينكم بسبب المكر الذي تعلمتموه منا. نحن كنا نقودكم دون أن نكون في واجهة اشتباكاتكم، بل كنا نستتر خلفها بلباقة وذكاء نستحق عليه أن نقودكم علانية ونزيل الوهم الذي تتوهمونه في أنفسكم بأن نلغي سيادتكم على الكون.

المغامر: لقد شطح خيالك بعيداً، أنت أنما تملك رقبتي منفرداً.

الثعبان: هي الخطوة الأولى لمسيرة ستمتد وتمتد.

المغامر: ماذا تعني ؟

الثعبان: سيحذو حذوي الكثيرون من بعد أن يشيع خبري بينهم.

المغامر: أدعو الله أن يفك كربتي وأخلص منك قبل هذا.

الثعبان: دعك من كل هذا الآن، ولنغير دفة الحديث.

المغامر: وهل من يرزح تحت الظلم يفكر في شيء غيره؟

(الثعبان يضحك)

المغامر: لا تفرح كثيراً، أنا لم أفقد الأمل بعد.

الثعبان: ستفقده، ستفقده إن عاجلاً أم آجلاً.

المغامر: أي ماكر أنت؟

الثعبان (يضحك): والآن... بما أني سيدك وأنت عبدي، أطلب منك أن تُرفه عني.

المغامر: كيف أفعل هذا وأنا منقبض حزين؟

الثعبان: هذه مشكلتك وعليك أن تجد مخرجاً.

المغامر: دعني وشأني بحق الله.

الثعبان: لم يعد شأنك مُلكك.

المغامر: قلت لكَ إني مكتئب.

الثعبان: وأنا منشرح، وعليك أن تزيدني إنشراحاً.

المغامر: كيف؟

الثعبان: اكتئب أكثر، كلما ازداد شعورك بالإحباط، أزداد ابتهاجاً.

المغامر: ولكنك تعرف أن الإكتئاب عندما يستحوذ على المرء منا قد يقوده للموت.

الثعبان: إلاّ هذا، فأنا حريص على حياتك أكثر من حرصك عليها.

المغامر: ولماذا؟

الثعبان: إذا تناسيت جميع الاعتبارات حري بي أن أفكر أنك ما دمت حياً فأنا سيدك، وإن مت انتهت سيادتي، فمن مصلحتي مبدئياً أن تعيش.

المغامر: إلى متى؟

الثعبان: إلى أن أصحبك إلى وكر الأفاعي ليعترفوا بمجدي ويُعينوني زعيماً عليهم.

المغامر: لن أتيح لكَ فرصة الصعود على كتفي.

الثعبان: الأمر ليس بيدك (لحظة) والآن غنِ كي ترفه عني بدل الجدل الذي لا طائل من ورائه.

المغامر (بعد لحظة من التفكير، يُغني)، أحب عيشة الحرية...

الثعبان: (يصرخ) لم أقل لكَ كي تُغني لنفسك، بل عليك أن تُغني لي.

المغامر: أنا أغني لكَ.

الثعبان: إذن، ابتعد عن تَغنيكَ بالحرية، وانطق كلمات تمتدحني فيها وتُشيد بخصالي.

المغامر (صمت)

الثعبان: هذا يتطلب مني بالا صافيا لينساب اللحن في ذهني ويتملك عقلي وقلبي فينفلت لساني بغناء يشجيك، ولكني الآن لا أستطيع إلاّ أن أتغنى بمرارة تعكس مرارتي، وحزن يعبر عني.

الثعبان: لست من الجهالة كي أطلب منك الصدق، لأنك حتماً لن تمتدحني برغبتك، ولكني آمرك أن تفعل هذا.

المغامر: الفن يتطلب الصدق.

الثعبان: لا أطلب فناً، بل مديحاً أطرب له وحدي دونك ودون أبناء جنسك ممن يشتمونني.

المغامر: هذا صعب.

الثعبان: بل سهل، تملق كأبناء جنسك عندما يصفقون لزعيم رشح نفسه لاستلام منصب.

المغامر: أي زعامة وأية مناصب وأنا أرزح تحت ظلمك.

الثعبان: سئمت ترددك لهذه العبارة، وعليك ألاّ تثير نقمتي فأهجرك.

المغامر: ليتك تفعل.

الثعبان: هيهات أن أفعل بعد أن حققت سيادتي عليك.

المغامر: وأنا سئمتك، وأظن إني لن أصمد كثيراً أمامك.

الثعبان: وماذا في مقدورك أن تفعل؟

(المغامر يبدو حائراً)

الثعبان: ليس أمامك إلاّ الغناء (مذكراً) مديح يليق بي بدل صمتك هذا.

(المغامر صامت)

الثعبان (يصرخ): آمرك للمرة الأخيرة.

المغامر (بتحدٍ مفاجيء): وإن لم أفعل؟

الثعبان (مهدداً): أهجرك.

المغامر (بتحدٍ): هيا إذن.

(سكوت وصمت)

المغامر: لماذا تتلكأ؟

الثعبان: لا أظنك ترغب في هذا حتماً.

المغامر (بتحدٍ): بل أريده الآن دون تأخير.

الثعبان: لن أفعل هذا، ستموت من غيري.

المغامر (متردداً): لم يعد يهمني هذا؟

الثعبان: بل يهمك ويهمني كما تعلم.

المغامر (بتحدٍ): الموت أهون علي من ظلمك وافترائك.

الثعبان: ماذا تَعني؟

المغامر: سأنفصل عنك أنا وليكن ما يكون.

الثعبان (متوددا): ستموت.

المغامر: سيّان.

الثعبان: لا تجعل الغضب يعمي بصيرتك.

المغامر: ماذا تنفعني البصيرة في وضعي هذا.

الثعبان: تبقيك حياً.

المغامر: سأبحث عن الحياة في منعطف بعيد عنك.

الثعبان: لن تجد غيري في هذه الظروف.

المغامر: سئمتك ولم تَعد تهمني النتائج.

الثعبان (فاقداً الصبر): لن أمكنك من نفسك قبل أن نصل إلى وكر الأفاعي.

المغامر: بل عليّ أن أسرع في الإنفصال عنك قبل بلوغنا إياه.

(يحاول الإنفصال مع محاولة الثعبان منعه من ذلك، ثم يعتركان، ويحاول كل منهما الإنفصال عن الآخر، ولكن عبثاً فمحاولتهما فاشله، تهمد حركتهما ويرتميان بإعياء على الأرض، وهما لا يزالان ملتصقين).

الثعبان: أظن أننا ملتصقين بشدة، ولا سبيل لإنفصالنا.

المغامر: ولكن عجباً، لِمَ حاولت أن تنفصل عني أنت أيضاً؟

الثعبان: لأنفث سمي فيك وأقتلك، بعد أن كدت تقتل طموحي.

(صمت، تفكير)

المغامر: والآن بعد أن تأكد لك أن بقائي معك لم يعد باختياري، تلتغي سيادتك عليّ.

الثعبان (بهدوء): ماذا تَعني؟

المغامر: الأمر واضح، أنا الآن حر.

الثعبان: لكنك ملتصق بي قسراً.

المغامر: وأنت كذلك.

الثعبان: أظن أن كلينا رهين الآخر.

المغامر: نعم

الثعبان (بنشاط مفاجيء): ومع ذلك أرى الموقف يصب في صالحي.

المغامر: كيف؟

الثعبان: الزعامة على كتفك مبتغاي.

المغامر: لم أعد عبدك، تذكر.

الثعبان: بل أنت تحت ربقتي ما دمت اسحبك إلى دياري، والمجد في انتظاري.

المغامر (بسخرية): وهل سيقبلك قومك هكذا، كائناً نصفه ممسوخ.

الثعبان: سأشرح لهم إني إنما فعلت ذلك لأسرك والاستحواذ عليك.

المغامر: ولكن، هذا كذب.

الثعبان: السياسة نصفها كذب.

المغامر: لن يستمع إليك أحد.

الثعبان: حتى لو صح افتراضك، ووسط المعارضة الشديدة التي ستواجهني، لا بد أن أجد من يساندني.

المغامر: لكننا الآن في بوتقة واحدة، وعليك أن تفكر بي بشكل يتوازى مع تفكيرك بذاتك.

الثعبان: ماذا تَعني؟

المغامر: أنت تخطط لمجدك وحدك، وبيدي أن أهدم كل شيء.

الثعبان: كيف؟

المغامر: أنت تسير باتجاه وكر الأفاعي، أليس كذلك؟

الثعبان: هذا صحيح.

المغامر: سأحبط جميع خططك بأن أغير اتجاه مساري، وما دمت متصلاً بي ستتبعني.

الثعبان (متحفزاً): لن أدعك تفعل هذا.

المغامر (بحماس): النزاع، النزاع.

(يتعاركان من جديد ولكن يبدو عراكهما فاتراً، ثم يتراجعان ويكفان عن العراك).

الثعبان (بفتور): لا فائدة من رفقة كائن يكن لكَ الكره.

المغامر (بفتور): كلانا عدو للآخر.

(صمت وتفكير)

الثعبان: وما رأيك بأن بارقة تدلني أن أضع يدي في يدك ونتحالف.

المغامر: على ماذا؟

الثعبان: جسدانا متصلان كما تعلم، فنحن نرتوي من دم واحد كما سلف وعلمنا.

المغامر: للاسف، هذه حقيقة.

الثعبان: غذاؤنا يجب أن يكون موحداً إذن.

المغامر (مشمئزاً): لا تذكرني ببشاعتك وأنت تبتلع الأضعف منك من الكائنات.

(الثعبان يضحك)

المغامر: شر البلية ما يضحك.

الثعبان: أنت البلية التي تضحكني لأنك تنسى أنك تمتص دماء أخيك الإنسان.

المغامر: معاذ الله أن أفعل هذا.

الثعبان: وهل تنكر أن هذا يحدث في عالمكم؟

المغامر (مفكراً): لم أكن من مصاصي الدماء.

الثعبان: لو أتيحت لكَ الفرصة، أَعني لو كنت غير ما أنتَ عليه، لفعلت أكثر مما تظن أنك مترفع عنه.

المغامر: هذا ليس موضوعنا.

الثعبان: بل هو موضوعنا، وعلينا أن نفكر كيف نستفيد من معضلة اتحادنا معاً.

(المغامر يضحك فجأة)

الثعبان: فيم ضحكك.

المغامر: لفكرة أدهشتني.

الثعبان: قل إذن.

المغامر: رافقني، وسنعمل معاً في السيرك، نرقص ونتعارك، ونصبح نجمين تدفع فينا آلاف الدنانير.

الثعبان: ومجدي، هل أتنحى عنه ببساطة.

المغامر: سيكون لكَ مجد آخر.

الثعبان: أنتَ تخطط لتجعلني بهلولاً تضحك الناس عليه، وأنا أخطط لأعتلي منصباً أُحترم عليه، فماذا اختار؟

المغامر: السيرك حتماً، هناك الاستثمار، الثروة الحقيقية (بإغراء) الثروة.

الثعبان: المنصب سيُحقق لي الثروة!

(يظهر الثعبان الذي ولى هارباً في البداية، ولنسميه الثعبان الثاني يدخل برفقة مجموعة من الثعابين الجنود).

الثعبان الثاني: هذا هو الكائن الغريب الذي حدثتكم عنه.

(يحيطون بهما ويتأملونهما باهتمام، ويتراقصون حولهما).

الثعبان (بحماس مفاجىء)، هذا المغامر من الأناسي، أسيري وعبدي.

المغامر: لا تستمعوا له، بل هو عبدي واسيري.

الثعبان الثاني: أخرس أيها الأنسي. (للثعبان) تكلم أنت.

الثعبان: كما قلت لكم، هي سابقه لم يسبقني عليها أحد، وكنت اسحبه لأصل إليكم لتشاهدوا عظمة إنجازي.

الثعابين الجنود (يهتفون) يحيا الثعبان الزعيم، يحيا الزعيم.

المغامر: هذا كذب وافتراء، لقد اندمجنا معاً بظروف غامضة وسط سحابة من غبار...

(يضحكون باستهزاء)

الثعبان: أخرس ولا تقطع علي فرحتي بالمجد الذي وصلت إليه.

ثعبان جندي: سترافقنا أيها الزعيم لتمثل أمام كبير الثعابين.

(يحملونهما ويغادرون).

***

*اللوحة الثانية:

(في حضرة كبير الثعابين. يجلس كبير الثعابين في الصدر، ويقف أمامه الجنود ومعهم المغامر والثعبان الزعيم والثعبان الثاني).

كبير الثعابين: ما حققته من نجاح أيها الزعيم يرفع منزلتك عندنا (يلتفت إلى الثعبان الثاني). أما أنت فلك مكافأة، لن ننساك، أطمئن.

(يشير لأحد الجنود كي يصحبه).

كبير الثعابين: (للجندي) أجزل له العطاء واصرفه.

(يخرجان)

كبير الثعابين: (للزعيم) ذكاؤك الوقاد، وقدرتك ودهاؤك... كل هذا يحثني لأهبك منصباً يليق بك (بحماس) تعال... اقترب مني.

(يثب الزعيم مقترباً منه، ويقترب معه تلقائياً المغامر).

كبير الثعابين: دعك منه، اتركه، هو أسيرنا الآن.

(الزعيم ينظر إلى كبير الثعابين حائراً، بينما يضحك المغامر).

أحد الجنود: (يخز المغامر في كتفه) أخرس... أنت تقف أمام سيدنا الكبير.

(المغامر مستمر في الضحك).

كبير الثعابين: كف عن الضحك يا هذا وابتعد عنه.

(يقهقه المغامر ببهجة وشماتة)

جندي: ألا تستحي (يهم بأن يضربه).

كبير الثعابين: (مبادراً) حذار أيها الجندي، (بلين) ستؤذي الزعيم.

(يكف الجندي، بينما يضحك المغامر بصخب، والمفاجأة تلجم الزعيم الذي يبدو حائراً).

كبير الثعابين (للزعيم) ابتعد عنه أنت، طلبت منك هذا قبل قليل.

(الزعيم يطأطىء رأسه، والمغامر يتلوى من الضحك).

كبير الثعابين: (لأحد الجنود) اسحب هذا الأنسي بعيداً عنا، وليؤدب لاستهتاره وميوعته، وقلة احترامه مجلسنا.

(الجندي يحاول سحب المغامر، والزعيم يحاول أن ينزع نفسه عنه كذلك دون جدوى، المغامر غارق في الضحك، الجندي يهوي بسوطه عليه، يكف عن الضحك ويئن، يئن الزعيم كذلك).

كبير الثعابين: حلمك أيها الجندي، نبهتك...

(يقف الجندي حائراً، ويكف الزعيم عن محاولته الفاشلة، واليأس ظاهر عليه).

الجندي: إنهما متلاحمان أيها الكبير، ولا سبيل لنزع أحدهما عن الآخر.

كبير الثعابين: (ساخطاً) خدعتنا إذن أيها الزعيم، وما قاله الأنسي حق... كلاكما أسير صاحبه.

الزعيم: ولكني أنا الذي سقته إليكم، فهو أسيري وعبدي.

المغامر: لا تصدق، لو لم يفاجئونا جنودك أيها الكبير لسقته بدوري إلى مقري، فما زعامته إلاّ وهم وخديعة.

الزعيم: لا تصدق أيها الكبير، لقد كنت قريباً من الديار و...

المغامر: (مقاطعاً) كنت سارغمك لتعود معي حيث أشاء لولا هؤلاء الجنود.

الزعيم (بتحدٍ) عليك أن تقر بهزيمتك بغض النظر عن الظروف التي تدخلت لصالحي.

المغامر: لا اعترف بهزيمة لم أعط فيها فرصة الدفاع عن النفس.

الزعيم: قلت لك الزعامة على كتفك مبتغاي، وها قد حققت زعامتي فلا تحاول أن تقلل من شأنها.

المغامر: انت...

كبير الثعابين (مقاطعاً): أخرس أنت وهو، لقد خيبت ظني المفاجأة، وأنا الآن وسط هذه الزوبعة من الأفكار المتلاطمة في رأسي، أرجيء تفكيري بكما معاً. (للجنود): دعوهما في الأسر ريثما أنظر في الأمر.

(الجنود يتأهبون لوضع القيود في يديهما بينما يدخل المهرج الأكبر من الأناسي).

المهرج الأكبر: أنا زعيم السيرك، والمهرج الأكبر، جئت أطالب بألمع نجوم السيرك عندنا الذي أسرتموه واستحوذتم عليه.

(الجنود يقفون جانباً بانتظار أوامر كبير الثعابين).

كبير الثعابين (للجنود): دعوهما الآن.

(يقف الجنود جانباً).

كبير الثعابين (للمهرج الأكبر): أهلاً بك ضيفاً علينا.

المهرج الأكبر: سمعتك تتحدث عن أسره.

كبير الثعابين: مهرجكم ضيفنا برغم الملابسات التي رافقت قدومه إلينا.

الزعيم: ليس هناك ملابسات، سقته إليكم كنعجة، وبعد أن اعترفتم بقدرتي، وميزتموني، أراكم تتجاهلون إنجازي وهذا يؤلمني.

كبير الثعابين: ليس هذا وقته.

الزعيم: متى إذن؟ وكنت على وشك أن تمنحني المنصب والجاه لولا اختلطت عليك الأمور.

كبير الثعابين: ستضطرني لإخراجك من هنا لو تماديت في النقاش.

المهرج الأكبر: لا أقبل أن يساق مهرجنا خارجاً وقد جئت من أجله.

كبير الثعابين (بمكر) قصدت ثعباننا الزعيم.

المهرج الأكبر: وبالتالي مهرجنا وهما متصلان.

كبير الثعابين (بدهشه): امطلع على هذا أيضاً؟

المهرج الأكبر: بكل تأكيد.

كبير الثعابين: قطعت علي فرحتي بأن أُفاجئك بما لا تعلم، وأمام ذهولك اسْحب تنازلك، واحتفظ بمهرجكم في ديارنا رمز انتصارنا فتهابنا الأمم ويحسبون حسابنا و..

المهرج الأكبر (مقاطعاً): أراك تتناسى إمكانياتنا اللامحدودة.

كبير الثعابين: هذا لا ينفي كوننا أسرنا واحداً منكم (لحظة ثم يتابع بفخر) والدليل زعيمنا الذي سجل سابقته بالاستحواذ على مهرجكم هذا... تسجل هذه السابقة في موسوعة غينتس يا رجل، فلا تتظاهر أمامي بالقوة.

المهرج الأكبر: لكننا أقوياء وأنت تعلم هذا.

كبير الثعابين: ونحن لا يستهان بنا.

المهرج الأكبر: لنتفق إذن.

كبير الثعابين: على ماذا؟

المهرج الأكبر: لِمَ تريد أن تستأثر بالنجاح، وتحتفظ بمهرجنا عندك.

كبير الثعابين: هذا حقي بعد أن سيق إلي بمجهود ثعبان من ثعابيني.

(لحظة صمت، المهرج الأكبر ينظر إليه)

المهرج الأكبر: وبعد... أكمل.

كبير الثعابين: ستتوافد علينا الأمم ليشهدوا نصرنا كما سبق وأوضحت لك وهكذا ستتوسع رقعتنا.

المهرج الأكبر: تعني وكركم هذا؟

كبير الثعابين: ضاق علينا كما تعلم، وقد آن الآوان لإتساعه.

المهرج الأكبر: إذن عليكم بالتهريج.

كبير الثعابين: لا أوافق أن يتحول زعيمنا إلى مهرج.

المهرج الأكبر: لكنكم مهرجون.

كبير الثعابين: لم نعلن موهبتنا التهريجية بعد.

المهرج الأكبر: آن الآوان للصراحة والوضوح، وقد حانت الفرصة، فهات المهرجين، أصحبهما معي، وأبثهما ليطوفا في الأمصار، عارضين مهارتيهما التهريجية، وهكذا تتحقق الشهرة والمجد... الناس من كل ملة وبلد سيتفرجون عليهما، أتدري ما معنى هذا؟.

(كبير الثعابين ينظر إليه منبهراً بينما يشير المهرج الأكبر للمغامر والزعيم أن يقتربا، يقتربان إلى وسط الخشبة ويبدأان استعراضاً ما، كأن يرقصان أو يتعاركان، الجمهور يصفق بحرارة).

المهرج الأكبر: هذا هو التأييد، التأييد الجماهيري والشهرة (يشير للجمهور أن يكفوا عن التصفيق، يكفون، يتابع) والهيمنه، الهيمنه يا رجل، عفواً يا

ثعبان... متعة الهيمنة لا حدود لها، وأيضاً المال... ألا يهمك المال الذي سنجنيه معاً، المال سيتيح لكم التوسع والإنتشار.

كبير الثعابين: وما مصلحتك أنت؟

(المهرج الأكبر يتناول رقعة شطرنج ويضعها على الأرض في الوسط).

كبير الثعابين: ما هذا؟

المهرج الأكبر (بحماس): ثعابينك جنود على هذه الرقعة أنت تحركهم وأنا...

(يدخل فجأة رجل مقنع ويمسك ياقة المهرج الأكبر من الخلف. المهرج الأكبر يتابع بصوت أقل حماساً) أنا أحرك الرقعة كلها (يصمت).

(الرجل المقنع يترك ياقته ويشير إليه أن يتابع كلامه أمام ذهول كبير الثعابين).

المهرج الأكبر: نعم، أنا أحرك الرقعة كلها، وهذا (يشير للرجل المقنع) صانع الرقعة ومبتكرها.

(يرفع الرجل المقنع رأسه بخيلاء)

كبير الثعابين: والسيرك؟

المهرج الأكبر (بحماس) نحن مبتكروه وأصحابه...

الرجل المقنع (يهمهم) هم..م..م

المهرج الأكبر (بصوت وقور ومنخفض) وهنا (يشير إلى رقعة الشطرنج) هنا حلبة المسرح (يشير للمغامر والثعبان ليقفا على الرقعة)، يقفان وسط الرقعة ويبدأن استعراضهما أمام تصفيق الجمهور وحماسهم، يضحك الرجل المقنع، ويلتفت كل من المهرج الأكبر وكبير الثعابين إليه، التصفيق مستمر.

***

الدَّفيــن

(المسرحية الثانية)

شخصيات المسرحية

-خليل/ مكتشف الموقع

-عمر/ صديقه

-سليم/ صاحب جهاز الكشف عن المعادن

-نادر/ شريكه

-ناجي

-رندة/ خطيبة ناجي

-ضابط

-أربعة أفراد من الشرطة

***

*اللوحة الأولى:

(منتصف الليل. القمر بدر، في الخلاء، قريبا من طريق عام يؤدي إلى إحدى البلدات. في المكان صخرة مستديرة، أشجار متفرقة. يقف كل من عمر وخليل وهما في أواسط العمر، يقفان قرب الصخرة، ينظران إليها)

عمر: هنا؟

خليل: ما رأيك؟

عمر: مكان مميز، ولكن...

خليل: خلف هذه الصخرة مثلا...

عمر: أي خلف تعني؟

خليل: ما بك؟!

عمر: لو نظرنا من هذه الناحية، كان هذا هو خلفها، ولو نظرنا من الناحية الأخرى كان ذاك هو الخلف.

خليل: لا تعقد الأمور، سرعان ما سيأتيان ومعهما جهاز الكشف عن المعادن، وحينذا سنتبين الموقع بكل بساطة دون الدخول في متاهاتك.

عمر: تأخرا .

(تسمع ضوضاء، يصيخان السمع، لحظات. هدوء تام)

خليل: تهيؤات الظلام ليس إلا.

عمر: لو صدق حدسك سيتغير كل شيء (حالها) سأبني بيتا ... سأتخلص من تراكمات ديون أجرة منزلي.

خليل: صدقت.

عمر: أنت لا تعاني ما أعانيه.

خليل: لست صاحب ثروة طائلة على كل حال.

عمر: لكنك تملك منزلا يؤويك، ومع ذلك تطمح في الثروة.

خليل: ومن لا يطمح في الإستزادة من نعم الله.

عمر: ومع هذا هناك فرق بيننا... أنت لا تتخيل ما أقاسيه أنا وأمثالي من الحثالة يا خليل... نعم نحن الحثالة، نحن من نركض خلف كسرة خبز ونلهث خلفها ... نلهث ، وهي عصية ... ونحن نلهث دون توقف (يلهث) (لحظات) ولكنها النفس يا خليل تطلب المزيد... وعندما ندرك أن المزيد بعيد المنال نستكين... وأحيانا نتمرد، ولكننا لا نملك غير حناجر صارخة، محتجة... بُحت أصواتنا يا خليل.

خليل: يا صديقي، قارن نفسك بمن هم دونك وستجد أنك بخير.

عمر: هو ذا ... أنت تقارن نفسك بي يا خليل وتختال تيها، أنت ترتفع بالمقارنة مع من هم دونك (مشيرا إلى صدره) نحن يا خليل، نحن من يذلهم العوز ويكسر ظهرهم... نحن من تنهش قلوبهم الفاقة والجوع... الجوع يا خليل، هل خبرت عذاب الجوع؟ ... عندما أجوع أشعر بالهزيمة، لا الأنفة ولا الكرامة، ولا العزة تنفع سلاحا أمامه، وهذا سلاحي الوحيد... فأقف مطأطئا رأسي أمامه ... أمام الجوع... الجوع... أنا أكره نفسي أحيانا.

خليل: لا أحد يكره ذاته، لو كنت تكرهها حقيقة ما رافقتني إلى هنا (مشيرا إلى الصخرة)

عمر: نعم لقد أتيت، أتيت كالغريق الذي يتمسك بقشة تنشله، وهو يدري أنها مجرد قشة، ولكنه الأمل يا خليل... (لحظة ثم بتحد) أنا أطلب الاستزادة مثلك تماما.

خليل: قد تصل إليه...

عمر: ما هو؟

خليل: المال يا عمر ، المال الذي تطلبه، قد تنال نصيبا منه.

عمر: شكرا يا خليل... نعم دعني أحلم، دعني أبني قصرا من الأوهام، بل سأفعل هذا حقيقة بعد نبش الدفين(حالما) سأبني قصرا عاليا، وسأجعل له حديقة غناء، سأجلس في وسطها مع رفاقي المساكين، سأرثي فقرهم، سينظرون إلي بملء أعينهم تماما كما أنظر أنا إليك الآن، سينظرون إلي ... لن أخذلهم، سأغدق عليهم (منفعلا) وأنت... أنت سأعطيك نصيب الأسد.

خليل: (يضحك) أنت تعطيني يا عمر.

عمر: (متنبها) لقد شطحت (مستدركا) ولكني شريكك في ... لقد قصدت... أنت لن تتخلى عني يا خليل بعد نبش الدفين، أليس كذلك؟ فأنت قدتني إلى هنا (لحظة. متنبها) لم فعلت ذلك؟ لم اصطفيتني من دون الناس لأقاسمك مالك؟

خليل: لقد اعتدنا أن نترافق أحيانا، ثم أني لا أستطيع الوصول إلى الدفين وحدي، وأنت من سيساعدني في الحفر، كان لا بد من أن أستعين بك .

عمر: (لائما، نادما) لم فعلت ذلك؟ كنت قانعا... (متوترا، مترددا) لا... لا... لم أكن يوما قانعا بوضعي، ولكنك الآن تضعني أمام شلال من الأوهام.

خليل: لا تسترسل بأوهامك كثيرا، قد لا ...

عمر: (مقاطعا) صه ... لا تكمل ، لقد أتينا إلى هنا آملين (ينظر إلى الصخرة) الصخرة تغريني لأحفر خلفها هنا (يدور حول الصخرة) أو هنا **(مشيرا إلى عدة أماكن حول الصخرة) أو هنا ... أو هنا ... نعم ... هنا بالذات يرقد الدفين، وعندما نستخرجه ... سنصنع الكثير، الكثير...)**

(ينظر إلى خليل نظرة خاصة) سنتقاسمه يا خليل أليس كذلك؟

خليل: نعم ، أعاهدك.

عمر: هات يدك(يتصافحان)

عمر (يشد على يد خليل): أنت القشة يا خليل التي أتمسك بها أنا الغريق في بحر التشرد والضياع، لا، لا... بل أنت العمود الذي سيشدني إليه وينشلني من غرقي لأغرق في بحر الثراء، لن تخذلني يا خليل ، أليس كذلك؟

خليل: كان بإمكاني ألا أطلعك على الموقع.

عمر: شكرا لك، .... أنت صديق صدوق، أنت الخل الوفي الذي أنكرت وجوده الأساطير، نعم سننهل من الغنى، سنصعد إلى العلى معا، سنحلق

بعيدا عن الوحل الذي نغرق فيه ... بين يوم وليلة ستنقلب الأمور ونودع الشقاء إلى الأبد... (يدور حول نفسه) أشعر أني أطير من الفرح... أطير.

خليل: على رسلك، قد لا يكون هنا دفين على الإطلاق...

عمر: (يصرخ) كذب، هنا يرقد الدفين (معذّبا) أنت تلهو بي (لحظة) (مستدركا، مضطربا، ضعيفا) لا تقتل حلمي يا خليل، أنت تغتاله ... أنت تطبق على عنقه بمخالب وحش ضار، دعني أسبح في فضاءات التهيؤات والأوهام، قبل قليل أهديتني الأمل، فلا تسترد هديتك بقسوة هكذا، الحلم هو الخيط الرفيع الذي يجعلنا نتمسك بالحياة، نعم يا صديقي فعندما تقسو علينا الحياة نشتهي الموت، ولكنه الحلم... الأحلام يا صديقي تومض في قلوبنا فنثني الموت ونتغلب عليه... بالحلم نفعل ذلك كي نعيش... نعيش وحسب (آملا) وقد يتحقق حلمي هذه المرة ويتحول إلى واقع جميل لينتصر على واقعيتك أنت ... سأزين الواقع بثروتي المتوارية في الآعماق (مرتبكا): ثروتي يا خليل، ثروتي (مستدركا) ثروتنا (يشير إلى بقعة معينة قرب الصخرة) هنا يا خليل ، هنا يضطجع الدفين بأمان، إنه صندوق مليء ذهبا خالصا، سننعف الذهب في الهواء، بل سنضمه إلى صدرينا ونقتسمه أنا وأنت... أنا وأنت .

خليل: نعم سنفعل ذلك .

(تسمع جلبة)

خليل: هناك من يقترب منا.

(يتلفتان حولهما. صمت تام)

خليل: لعله حيوان ضال.

عمر: (بذعر) أسد ؟

خليل: لا تخف، هنا لا يوجد أسود.

عمر: أو ذئب .

خليل: نحن لسنا بعيدين عن الطريق العام، ما بك؟

عمر: الظلام يا صديقي مدعاة للتهيؤات.

خليل: لتعد إلى تهيؤاتك حول الدفين، أفضل.

عمر: صدقت ... لكنهما تأخرا.

(خليل يجلس على الصخرة)

خليل: إجلس؟، الليل طويل.

(عمر يجلس كذلك)

عمر: هل وصفت لهما المكان بدقة؟

خليل: نعم فعلت.

عمر: تأخرا.

خليل: نحن بكرنا على ما يبدو.

عمر: الفجر قاب قوسين منا.

خليل: اطمئن، لا يزال هناك متسع من الظلام.

عمر: لا تقل هذا يا خليل، سنبدد الظلام، سنصعد إلى السطح، النور سيغمرنا بنعمه لنودع الظلام إلى الأبد ... إلى الأبد.

خليل: لقد قصدت ...

عمر: لا عليك، أنا أفهم ما تعني، لكننا اقتربنا من الفجر، الفجر الحقيقي لا المجازي يا خليل.

(لحظة ثم بلهجة جديدة) عما قليل سيطلع النهار، وفي النهار كما تعلم لن نتمكن من الكشف أو الحفر (متنبها) لم أحضر معي فأسا ولا عدة...

خليل: لا تستبق الأمور، لكل حادث حديث.

(تسمع صوت خطوات، ينصتان بانتباه ، يدخل كل من سليم ونادر ومعهما جهاز الكشف عن المعادن)

عمر: (يلمحهما ويشير إليهما بانفعال) ها هما ، حضرا أخيرا.

(يهرولان نحوهما ويشدانهما ليقتربوا جميعهم من الصخرة)

عمر: (منفعلا) هنا يرقد الدفين... إستخرجاه... (أشد انفعالا) أعني.. تيقنا من وجوده، تأخرتما.

سليم : مهلا، مهلا... حتى أننا لم نتبادل السلام.

عمر: ليس هذا وقته، إستكشفا الموقع.

خليل: (متوترا بعض الشيء) هذا هو الموقع (مشيرا إلى الصخرة) كما وصفته لكما، أنظرا.

نادر: (مبتسما) الموقع مغر على كل حال.

عمر: هيا تحركا، بلورا لنا الموضوع.

(سليم يتبادل النظرات مع نادر ثم يمسك الجهاز ويدور حول الصخرة، ويبحث، يمر وقت ، الجميع ينظرون إليه باهتمام وقلق، فجأة

نسمع صوت رنين الجهاز في بقعة معينة. جميعهم ينصتون بانتباه شديد. لحظات توتر. عمر فاغرا فاه من المفاجأة)

خليل: (يضحك متوترا) ألم أقل لكما أن الموقع ذو دلالة (لسليم) هل حددت الهدف؟

سليم: (مشيرا إلى بقعة معينة) هنا الهدف، يجب أن نبحث هنا.

نادر: ستتحقق أحلام الجميع، هيا نحفر ، أين عدتكما؟

عمر: (بحماس) أذهب وأحضر عدتي وأعود (يهم بمغادرة الموقع، يمسك به خليل)

خليل: تريث، نحن في الفجر الآن، وما أن تعود حتى ينبلج الصباح بنوره الذي يسلط العيون علينا .

عمر: بل أذهب وأعود بسرعة البرق.

(يهم بمغادرة المكان. خليل يسحبه بعنف)

خليل: قلت لك تريث، لا فرق بين اليوم وغدا.

سليم : ولم الإنتظار؟ عمر معه حق.

خليل: سيفتضح أمرنا، وسنخسر كل شيء بتهورنا. غدا عند منتصف الليل نعود ومعنا العدة، نحن الأربعة نعود ونعمل بهدوء وتأن ونستخرج الدفين.

عمر: (حالما) صندوق ذهب، نستخرجه ونتقاسمه .

خليل: غدا ستتضح الأمور.

عمر: هي واضحة. الجهاز أثبت ذلك.

سليم : سنتقاسم الدفين يا خليل.

(خليل ينظر إليه بصمت)

عمر: أنا شريكك يا خليل.

(خليل صامت)

نادر: ونحن، ألسنا شريكين أيضا؟

خليل: (بلهجة باردة) بالطبع بالطبع، كلنا شركاء.

سليم : نعود غدا عند الغروب إذن.

خليل: (منفعلا، يصرخ) بل عند منتصف الليل.

سليم : ولماذا ننتظر حتى منتصف الليل؟

خليل: (متمالكا بعض الشيء) عند الغروب قد يأتي هنا أحد بقصد التنزه، أما في منتصف الليل حيث يهجع الجميع، يحلو العمل، ولا تنسوا أن الليل ستار المجرمين.

سليم: لسنا مجرمون يا خليل.

خليل: على كل حال ، لقد قصدت أن الليل يستر كل شيء.

نادر: لليل آذان وعيون أيضا ... الغروب وقت مناسب.

خليل: (منفعلا) لا ... قلت لا ... (بهدوء مفتعل) منتصف الليل (بتصميم) منتصف الليل أضمن.

عمر: (بحماس) ها نحن في منتصف الليل، فيم الانتظار إذن؟ أذهب وأعود بعدتي. (يهم بمغادرة الموقع، يشده خليل بعنف)

خليل: أنت أهوج ومجنون، قلت لك تريث.

عمر: هذا الفرق بيني وبينك ، أنت لا تستعجل الأمور كونك لست معدما مثلي... أنا الصياد أتقلى، وعصفوري حر طليق، بل إنه يرقد هنا (مشيرا إلى الصخرة) ولكن القيّم عليه يضع يديه بمستنقع ماء بارد(ينظر إلى خليل) دعنا نحفر يا خليل وخير البر عاجله.

خليل: (بهدوء مفتعل) ألست القائل : الفجر قاب قوسين منا، نحن الآن تخطينا الفجر، إنه الصباح يا عزيزي، أنظر(مشيرا إلى الأفق) ها... الفضاء يطل علينا... أنظروا جميعا.

سليم : قد تكون على حق، لا داعي للتهور، ننتظر حتى المساء.

خليل: (بعنف) بل حتى منتصف الليل... منتصف الليل.

نادر: لا أدري لم أنت مصمم على منتصف الليل.

خليل: وضّحت الأمر سابقا ، منتصف الليل أضمن لنا.

عمر: (مستسلما) ليكن كما تريد، عند منتصف الليل إذن.

خليل: (بارتياح) نعم، عند منتصف الليل يكون لنا لقاء.

(يمد يده، تتشابك ايديهم ويتبادلون النظرات)

***

*اللوحة الثانية:

(نفس المكان. قبل الغروب بقليل، يدخل كل من ناجي ورندة، وهما خطيبان في مقتبل العمر، يلمحان الصخرة. ناجي يقترب من الصخرة)

ناجي: (منحنيا ومشيرا إلى الصخرة) تفضلي يا آنستي، أهديك هذا العرش.

رندة: عرش؟!

ناجي: عرش الملكة بلقيس... إجلسي (يستقيم واقفا)

رندة: لكني لست بلقيس.

ناجي: أصبح عرشك الآن ما دمت ملكت قلبي.

(ينظر إليها نظرة خاصة)

رندة: شكرا لك إذ منحتني هذا الشرف لأتغلغل داخل قلبك، متشبثة بمكاني فيه، فلا أتزحزح عنه أبدا.

ناجي: (مهرجا) أي نعم ستفعلين هذا، لكن...

رندة: (بقلق مفتعل) ماذا؟

ناجي : في القلب توجد أربع حجرات كما تعلمين.

رندة: ماذا تعني؟

ناجي : الحدق يفهم.

رند: أي أنك ستخونني.

ناجي : ومن ذكر الخيانة الآن؟

رندة: وبماذا تفسر كلامك إذن؟

ناجي : بعيدا عن المزاح، أنا أكره الخيانة.

رندة: لا يمزح المرء إلا ليعبر عن شيء يعكس دخيلته.

ناجي : أو عكسها.

رندة: (مفكرة) لنفترض أني سبقتك إلى العالم الآخر...

ناجي : (مقاطعا وبمزاح) هل ستسافرين؟

رندة: كف عن المزاح وأجب.

ناجي : أجيب على ماذا؟ أنت لم تطرحي سؤالا.

رندة: هل ستتزوج بعدي؟

ناجي : (بمكر) طبعا (مستدركا بمكر أيضا) أقصد ... لا، سأبقى وفيا لذكراك.

رندة: لهجتك تقول عكس ما ينطق به لسانك.

ناجي : ولو مت أنا قبلك ، هل ستتزوجين؟

رندة: لا أسمح لك بسرقة أفكاري، أنا التي طرحت هذا السؤال.

(يدخل سليم ونادر، أثناء ذلك ناجي ينظر إلى رندة قائلا)

ناجي : أنا أكره الخيانة.

(نادر في نفس اللحظة يقول لسليم)

نادر: أنا أكره الخيانة.

(يتفاجأ الجميع، ويتبادلون النظرات)

ناجي: (ممازحا) ها هو يؤيد كلامي، أقبل أيها الرجل الطيب، تعال إلى هنا.

رندة: هل تعرفه؟ (تلتفت إليهما) هل تعرفهما؟

ناجي : أبدا.

(سليم ونادر يقتربان منهما ويلقيان التحية)

نادر: سلام عليكما.

ناجي: وعليكما (لنادر) أنت قلت أنك تكره الخيانة، في نفس الوقت كنت أقول ذات العبارة لخطيبتي.

نادر: كيف تزامن ذلك؟!

سليم: كيف تصادف أن نطقتما نفس العبارة معا.

ناجي: (مبتسما) تدبير إلهي لتقتنع خطيبتي بنقاء سريرتي.

سليم: أنا أؤيدك (ينظر لرندة) هذا دليل دامغ يثبت أنه نقي كالثلج.

نادر: وأنا أكدت ذلك قولا... إصفحي عنه، وتمسكي به.

ناجي: شكرا لدعمكما.

(ينظر إلى رندة ويركع أمامها بشكل تمثيلي)

ناجي: وهذا عهدي على الوفاء.

رندة: إنهض ... غفرت لك إكراما لهما.

(ينهض ويضحك الجميع)

ناجي: ولكن كيف تصادف ونطقت عبارتي حرفيا؟

نادر: كنا نتحدث عن خيانة متوقعة لصديق لنا.

ناجي : الخيانة لم تحدث بعد؟

سليم : أتوقعها قريبا.

نادر: وأنا بعد أن شاهدتكما أستبعدها. (لسليم) صدق خليل بتوقعاته، الغروب وقت مناسب للتنزه.

سليم: هذه الصدفة لا تنفي خيانته المتوقعة.

ناجي : ولو أني لا أفهم تلميحاتكما إلا أني... (لحظة، متنبها) أنت قلت أنك تستبعد خيانته بعد مشاهدتنا، تقصد أنا وخطيبتي؟

نادر: (مرتبكا) نعم... ربما.

ناجي : فسر لي الأمر إذن.

سليم: (مستدركا) استبشرنا خيرا ببشاشتكما، هذا كل ما في الأمر.

نادر: (مستدركا كذلك) بالطبع، بالطبع، كما أن تزامن نطقنا لذات العبارة، تلميح رباني يثبت براءة الجميع.

ناجي : (بمكر) نعم، نعم... هذا صحيح.

(يتبادل نادر وسليم النظرات بقلق. ناجي ينظر إليهما بتمعن وصمت)

ناجي : (بمكر) الخيانة لم تعد متوقعة إذن؟

نادر: الخيانة مستبعدة.

(يدخل خليل وعمر. عمر يحمل بيده كيس، سليم يلمحهما ويشير إليهما)

سليم: (همسا لنادر) ها قد ثبتت الخيانة.

(خليل وعمر يتسمران مكانهما وينظران باهتمام. ناجي يتأمل الجميع باهتمام كذلك. خليل يدنو منهم بسرعة)

خليل: ماذا فعلتما؟

(يدور حول الصخرة وينظر إلى الهدف. عمر يقترب منهم كذلك. ناجي يراقب المشهد بصمت وتفكير)

سليم: كما ترى... لم نفعل شيئا.

رندة: (تقترب من ناجي) الآن في الغروب يحلو التنزه بين الأشجار.

ناجي: إنتظري.

خليل: فيم قدومكما إذن؟

سليم: توقعناك فأتينا.

نادر: مع أنك كنت مصمما على منتصف الليل.

سليم: تصميمك أثار ريبتنا.

خليل: توقعت غدركما فجئت.

نادر: لا ... أنت لم تتوقع غدرنا، لكنك أتيت غادرا.

عمر: (مستدركا) أنا لا أرى داعيا للمشاحنة، لقد أتينا للتنزه فقط.

خليل: نعم، نعم، هذا صحيح.

سليم: (مشيرا إلى الكيس) وهذا؟

(خليل يتنحنح)

عمر:هذا ... (يضحك متوترا)

(خليل ينظر إليهم بتجهم. صمت متوتر)

ناجي: (لرندة همسا) تبلورت الأمور.

رندة: أي أمور... هيا بنا نلتمس مكانا هادئا، تحت الشجر مثلا.

ناجي: إلزمي الصمت الآن.

خليل: اجلسوا أيها الأصدقاء... يحلو السمر الآن.

رندة: (لناجي) هيا نذهب.

ناجي: قلت لك تريثي (بمكر) هذا هو المكان المناسب الذي اخترناه لنتسامر.

رندة: مع هؤلاء؟

ناجي: (مصمما) نعم.

خليل: (كاتما غيظه، على حدة) احلوت...(ينظر إلى ناجي) لم نتعرف.

سليم: الصدفة قادتهما إلينا.

ناجي: (بمكر) بل الصدفة قادتكم جميعكم إلينا، نحن سبقنا الجميع واخترنا هذه الصخرة لنجلس عليها. يجلس على الصخرة ويسحب رندة من يدها لتجلس قربه)

خليل: (بارتياح) ألم أقل لكما أن الغروب وقت مناسب للتنزه.

سليم: (بخبث) هذه الحقيقة لا تبرؤك.

خليل: ولا تبرؤكما.

ناجي: (بوقاحة) وما علاقة التنزه في الغروب وتجريم بعضكم لبعض؟ أعني ... لماذا تكيلون الإتهامات فيما بينكم؟

خليل: (بارتباك) نحن نمزح ليس إلا.

عمر: (ببلاهة) كل ما في الأمر أننا اتفقنا أن نلتقي في منتصف الليل.

خليل : (يتنحنح) أنت تمزح (ينظر إلى عمر نظرة متجهمة)

عمر: (مرتبكا، يكمل) ولكننا أتينا الآن.

ناجي : (بوقاحة أيضا) ولماذا تتفقون على اللقاء في منصف الليل؟

نادر: للتنزه.

ناجي : (ساخرا) في منتصف الليل؟

نادر: نعم، وما المانع؟

سليم : حتى أن الجو يكون ألطف منه في الغروب حيث الحر و... (يصمت فجأة)

رندة: (لناجي) أنا أشعر بعدم الإرتياح الآن.

ناجي : (بمكر) وأنا مرتاح كما لم أكن. (ينظر إلى الكيس ويشير إليه) أتيتم للتنزه؟

(عمر يضع الكيس على الأرض ويجلس قربه مرتبكا)

(خليل يجلس على الآرض كذلك)

خليل: اجلسوا يا أصدقاء ... اجلسوا.

(يجلس كل من سليم ونادر على الأرض)

(صمت متوتر) (لحظات)

ناجي : (يغني) بقا يقول لي، وانا أقول له

وخلصنا الكلام كله.

خليل : (يضحك منفعلا) لطيف غناؤك أيها الشاب.

(رندة تبدو قلقة، متوترة)

ناجي : (يغني) بقا يقول لي، وانا أقول له

وخلصنا

رندة: (تقف غاضبة ومقاطعة) كف عن الغناء، أنت تثير أعصابي.

ناجي: (ببرود) الغناء يثيرك؟ حتى أن المتنزهين يصطحبون معهم ما يستمعون إليه من غناء وطرب، أنت نفسك اقترحت أن نحضر معنا مسجلا.

رندة: (همسا لناجي) أشعر بالتوتر الآن.

ناجي : لماذا؟ الجو لطيف ... والقمر... أنظري ... أنت قلت أننا سنجلس تحت ضوء القمر... إجلسي إذن .

رندة: (بلطف) قلت لك يا عزيزي لا أشعر بارتياح.

ناجي : اصبري، ستتبلور الأمور عما قليل.

رندة: ماذا تعني؟

ناجي : اجلسي، إجلسي فقط.

(تجلس)

(خليل يتنهد بضيق)

رندة: أنت تفرض نفسك عليهم.

ناجي : (منفعلا) هم يفرضون أنفسهم علينا ، هذا مقرنا.

(يتابعون مشادتهما بارتياح. ناجي يلحظ ذلك)

ناجي : (يغني بمكر) بقى يقول لي، وأنا أقول له.

وخلصنا الكلام كله.

خليل : (بمكر) عندما ينتهي الكلام، تفض الجلسة.

ناجي : فيبرح أحدنا مغادرا.

خليل : وماذا تنتظر؟

ناجي : أنتظر مغادرتكم أنتم، حيث أننا سبقناكم إلى هذا الموقع.

خليل : هذه الأرض ليست ملكك.

ناجي : ولست مالكها أنت كذلك؟

سليم : وبالتالي لكل منا الحق في الجلوس في أية بقعة يختارها ونحن اخترنا هذه البقعة.

ناجي : (يدور حول الصخرة) هذه البقعة.(يجلس على الصخرة) هذه البقعة بالذات اختياركم، واختياري كذلك.

(يتبادلون النظرات فيما بينهم بقلق) (لحظات)

ناجي : (بمكر) أنتم لا تبرحون لأن لكم مأربا هنا.

خليل : وما هو بظنك؟

(ناجي ينظر إلى الكيس بخبث)

ناجي : (مشيرا إلى الكيس) فض كيسك وابحث عنه.

(عمر يضم الكيس إلى صدره، لحظة ويضعه قربه بحرص. يتبادلون النظرات. رندة تبدو في غاية القلق)

خليل : (لناجي) كيف تفكر بهذه الطريقة؟

ناجي: الأمر واضح، هذه العصا التي تبرز من الكيس ما هي إلا عصا الفأس.

(عمر يضطرب)

خليل: (ساخرا) فأس؟

سليم: إنه على حق.

خليل: (منفعلا) ماذا تقول أنت؟

سليم: ليكن معنا فتضمن سكوته.

خليل: لا... لا.

(ناجي يضحك ثم يبدأ يغني)

ناجي: بقا يقول لي، وانا أقول له

وخلصنا الكلام كله.

رندة: (منفعلة) هيا نذهب.

خليل: خطيبتك تتذمر من رفقتنا والأفضل لك الانسحاب.

ناجي: (يضحك بمكر) قديمة.

(رندة تمسك ناجي وتسحبه من يده، يتخلص من قبضتها بغلظة، يراقبون المشهد بصمت)

ناجي : (يغني) بقا يقول لي، وانا أقول له

وخلصنا الكلام كله

رندة: (أشد انفعالا) خلصنا الكلام كله...صحيح انتهى الكلام بيني وبينك، عد بي إلى البيت حالا.

ناجي : (يصرخ) هنا (يشير إلى الصخرة) حول هذه الصخرةيوجد مال ولي فيه نصيب، هل فهمت الآن؟

رندة: لا ... لا أفهم، هذه خرافات (تصرخ) هيا بنا نغادر.

ناجي : (يصرخ) إذهبي لو شئت، أنا لن أتزحزح عن هنا حتى ينتهي الموضوع.

رندة: طفح الكيل، إن لم تتحرك الآن سأغادر وحدي.

ناجي : إذهبي (يصرخ) قلت لك إذهبي ودعيني .

(رندة تنظر إليه بذهول)

رندة: أظلمت الدنيا، وأنت تتخلى عني في أحلك الظروف.

ناجي : أنت لا تقدرين موقفي، انتظري وسنعود معا.

رندة: متى؟

ناجي : أوف... أنت مملة، أقول لك هنا يوجد مال، هل أتركه؟

رندة: (مهددة) سأغادر فورا.

(ناجي يشيح برأسه عنها متذمرا، رندة تنسحب نحو الخروج)

ناجي : (ينظر إليها) أنت متسرعة.

(رندة تقف وتلتفت إليه)

ناجي : انتظري سنعود ومعنا المال.

(تظهر الخيبة على وجهها وتتابع طريقها نحو الخروج)

ناجي :(يصرخ في أثرها) أنت غاوية فقر، أتركيني ألتقط رزقي (تواصل طريقها خارجة. يصرخ) اذهبي.

(لا تلتفت إليه)

ناجي : (أشد صراخا) اِذْهبي في داهية.

(تخرج. لحظات)

ناجي : (منفعلا) خسرتها، ولن أحتمل خسارة جديدة، هل تفهمون؟

(ينظرون إليه بصمت)

ناجي : أنا أقترح أن نلعب على المكشوف.

خليل : وأنا أقترح أن نعطيك مائة دينار وترحل.

ناجي : (يضحك باستهزاء) بل لي نصيب كنصيب كل فرد فيكم.

خليل : الحصص تتفاوت.

سليم : بل هي متساوية.

خليل : (يصرخ) أنا مكتشف الموقع، لولاي لما برز دور لكل فرد فيكم.

سليم : ونحن صاحبا الجهاز، لا تنس.

نادر: لا قيمة لموقعك بعيدا عنا.

(خليل ينظر إليهما باستهجان)

عمر: وأنا ... أنا شريكك يا خليل.

خليل (يضحك باستهزاء) أنت ... أنت سأعطيك شيئا لتشتري كسرة خبز ولا تلهث خلفها، ماذا تريد بعد؟

عمر: (ذاهلا) أنا شريكك... هل نسيت؟

خليل : سأرضيك ببضعة دنانير... هذا كل ما في الموضوع.

عمر: لا ... لن نحفر على هذا الأساس.

ناحي: بل سنحفر (يشمر عن ساعديه) وأنا سأساعدك يا صديقي، وسنقتسم الدفين، إطمئن.

خليل: من أنت لتقول هذا؟

ناجي: أنا جزء من اللعبة، واللعبة لا تكتمل بدوني.

خليل: وأنا سأرضيك ببضعة دنانير (مشيرا إلى عمر) مثله تماما.

ناجي: نحن خمسة أشخاص، وسيقسم المال علينا بالتساوي.

نادر: صدقت، هذا هو القول الفصل.

خليل: (يصرخ) لن نحفر على هذا الأساس.

سليم: أنت خنتنا، وأتيت لتحفر معه(مشيرا إلى عمر) لولا أننا كنا لكما بالمرصاد.

خليل: ها ... أتيتما قبلنا.

نادر: أتينا خاليي الوفاض، فقط لنحاصرك بالذات .

خليل: وهو (مشيرا إلى عمر)

سليم: أنت الرأس المدبر.

خليل : (يصرخ) بل أنا مكتشف الموقع، هل تفهمون؟ (لحظة) وبالتالي هذا المال لي ... لي وحدي، ولكني سأعطيكم منه بمزاجي.

ناجي : أنت جشع.

خليل : وأنت طفيلي وقح.

ناجي : سنقتسم الدفين رغما عنك.

خليل : لم تحزر.

سليم: لكل منا ضلع يقود إلى الهدف، وبتر أي ضلع لن يوصلك إلى نتيجة.

خليل : (بإصرار) لن نحفر (يصرخ) لن نحفر.

ناجي : لا تلم نفسك لو حفرنا دونك إذن.

خليل : أنت متطفل علينا وتتكلم وكأنك تقودنا.

سليم: سنحفر يا خليل، سنحفر.

نادر: سنحفر.

عمر: نعم سنحفر. (يتناول الفأس ، ويناول ناجي الطورية)

(خليل يركض ويتمدد فوق الهدف)

خليل : ستحفرون على جثتي إذن.

(ناجي يضع الطورية جانبا ويسحب خليل من فوق الهدف، ناجي وخليل يتعاركان. سليم ونادر يحجزان بينهما، عمر يبدأ بالحفر. خليل ينسحب من أمام ناجي ويتجه إلى عمر ويدفشه ، يقع الفأس من يده، عمر وخليل يتعاركان. ناجي يحفر، سليم ونادر يحجزان بين المتعاركين)

(ناجي يضع الفأس على الأرض وينزع حزامه ويهرع إليهم)

ناجي : اِمْسكوه جيدا، سأوثق يديه. يمسكون به، يوثق يديه بالحزام)

ناجي : (لعمر) إنزع حزامك لنوثق ساقيه.

خليل : (يصرخ) خونة، لصوص، أنتم حثالة قذرة.

(عمر ينزع حزامه ، سليم ونادر وناجي يمسكون خليل)

خليل : حتى أنت يا عمر؟ أنا الذي اصطفيتك لتقاسمني مالي، هل نسيت؟

عمر: (مترددا) أنت صديقي ، لكن...

ناجي : لا تستمع إليه، هيا ... إربطه.

(عمر يقف مترددا)

(ناجي يتناول الحزام من عمر ويوثق ساقي خليل، يتركونه مستلقيا جانبا على الأرض، عمر يقف واجما)

خليل : (يصرخ) كلاب... جبناء (يلتفت إلى عمر) وأنت ... أنت خائن... لن أعطيك شيئا من الدفين، سأحرمك... نعم (أشد صراخا) سأحرمك.

(سليم ونادر يجلسان جانبا، ناجي يسحب عمر نحو الهدف، ثم يبدأان بالحفر. لحظات)

خليل : حلو وثاقي، وسأرضيكم.

(لا يلتفتون إليه) (لحظات)

خليل : نعم، سأرضيكم (لحظة) لن أظلم أحدا... فقط فكوا وثاقي لنتفاهم (لحظة) بل نحن متفاهمون (يضحك ضحكة مصطنعة) أحيانا يحصل سوء تفاهم بين الأصدقاء، ولكن هذا لا يعني أن ... (لحظة) هيا يا سليم، تحرك وفك وثاقي (لحظة) نادر ، قل له أن يفك قيدي... بل فكه أنت.

(لا يلتفتان إليه) (عمر وناجي يقبلان ويناولان سليم ونادر العدة. سليم ونادر يذهبان إلى الهدف ويحفران. عمر وناجي يجلسان)

خليل : حسنا فعلتما... ليساعد بعضكم بعضا. (لحظة) أنا أمد يدي كذلك (لحظة) عمر... فك قيدي فأساعد في الحفر (لحظة) هيا يا عمر ... أنت شريكي (مستدركا) كلنا شركاء...

(عمر لا يلتفت إليه)

خليل : (منفعلا) لا تجعل هذا الطفيلي يؤثر عليك، هيا فك قيدي. (لحظة، يصرخ) أنتم لصوص، ستقتسمون الدفين فيما بينكم وتتركوني، لن أسكت... سأنتقم ... سأنتقم منكم جميعكم.

سليم: (يصرخ) أوشكنا الوصول إلى الهدف، الفأس تصطدم بشيء صليب.

(يهرع ناجي وعمر إليهما)

خليل : (يصرخ) لصوص... أوغاد (يحاول جاهدا التخلص من قيوده دون جدوى. يصرخ) علي وعلى أعدائي... لن أبقى مكتوفا هكذا، سيفك قيدي، حينئذ سأنتقم... الويل لكم من انتقامي.

ناجي : هات عنك.

(يتناول الفأس من سليم ويبدأ يحفر بهمة ، فجأة يرفع بيده بوري صوبة)

ناجي : (مكتئبا) هذا هو الدفين.

(ينظرون إلى بوري الصوبة بذهول)

عمر: (محبطا) إبحثوا حوله... إبحثوا جيدا (يهذي) سأبني قصرا عاليا...

خليل : (يصرخ) ماذا وجدتم أيها الأوغاد؟

(ناجي يضع بوري الصوبة على الأرض، يجلس قربه)

ناجي : (محبطا) وأنا سأنشيء مصنعا... أنا مهندس كيماوي... سأنشيء مصنعا (يصرخ) لا بد أن نجد شيئا (ينهض ويتناول الفأس ويهوي به عدة ضربات جنونية) (لحظات)

ناجي : (يائسا، يرمي الفأس من يده) لا شيء... لا يوجد شيء.

(يجلس على الأرض، نادر يجلس قربه)

نادر: لا تيأس ... (محبطا) ما قيمة المال في جوف الأرض، سنستخرجه (لحظة) وأقترح أن لا نتقاسمه، بل لنكون كلنا شركاء... فتنشيء أنت المصنع، ونحن نعمل فيه (يضرب كفا بكف) لا تياس ... إبحث .. إبحث

خليل : (يصرخ) ماذا وجدتم ؟

سليم : سننهض باقتصاد البلد... إبحث.

عمر: (يائسا) انهال قصري على رأسي...

خليل : (يصرخ) لماذا سكتم... ماذا وجدتم أيها اللصوص؟

(نادر ينهض ويركل بوري الصوبة نحو خليل)

نادر: (يصرخ) هذا هو الدفين.

(فجأة تدخل رندة ومعها ضابط وأربعة أفراد من الشرطة)

رندة : ها هم المحتالون ... (تشير إلى ناجي) هذا الرأس المدبر.

(الشرطة يحاصرونهم. خليل يضحك بشماتة، ينظرون إليه)

***

خيبـــــة

(المسرحية الثالثة)

شخصيات المسرحية

- آزاد
- عبيد
- تفاحة
- رداد
- عنبرة
- الوالي
- رجل واحد
- رجل ثاني وهم من رجال الوالي
- رجل ثالث
- أشخاص آخرون

***

اللوحة الأولى:

(يرفع الستار. إضاءة. بيت آزاد، في الصدر باب مغلق وعن يمينه علقت لافتة مكتوب عليها (بائع كلام).

آزاد في الأربعينيات، يجلس على مقعد أمامه منضدة. هناك مقعد آخر يقف إزاءه متكئا عليه بيده غلامه عبيد وهو شاب في مقتبل العمر.

المسرحية تدور في عصر قديم، وللمخرج الحرية في أن يختار الزي المناسب لذلك.)

عبيد: يا معلمي، أقول لك هو رجل غريب الهيأة.

آزاد: ما غريب إلا الشيطان.

عبيد: صدقت، هو الشيطان بعينه متسربل في زي إنسان.

آزاد: أنت تبالغ كعادتك.

عبيد: في نظراته تحد ومكر، أو ربما كان شيئا آخر.

آزاد: (بلا مبالاة) هو شيء آخر، دعني أراه.

عبيد: شكله يثير الشكوك.

آزاد: قلت فأسهبت، دعه يدخل.

عبيد: هو... لا أدري كيف أصفه... ربما...

آزاد: (مقاطعا) أنت غر لا تزال، مثله كثيرون من غير شك، ولكن سنينك التي لا تتعدى الثماني عشرة لا ترى ما يراه الأربعيني يا عزيزي.

عبيد: معاذ الله أن أقارن ما بيني وبينك، ولكني يا معلمي لست مرتاحا له.

آزاد: أما أنا فلا أرتاح لأحد، وليس لمهنتي أن تختار مرتاديها.

(عبيد يضحك وينظر إليه نظرة خاصة. يقف آزاد ويقترب من عبيد ويربت على كتفه ويقول بلهجة خاصة)

آزاد: عبيد، يا عبيد... هي مهنة فرضت نفسها وأنت جزء منها.

عبيد: كيف؟

آزاد: نحن في أيامنا هذه، نعتاش على البساطة، ومن كان على شاكلتي تكون هذه مهنته، ويقبلونه كما هو .

عبيد: من هم؟

آزاد: الناس يا عزيزي، الدهماء.

عبيد: تعني هؤلاء الذين يأتون إليك.

آزاد: وغيرهم من لم يرني (يضحك) لكنه يسمع عني من غير شك.

عبيد: من تعني يا معلمي؟

آزاد: لا عليك... دعنا في المهم الآن.

عبيد: أنا أشعر أمامك أحيانا بالضياع.

آزاد: نحن في عصر تغلب عليه البساطة كما قلت لك قبل قليل، ولا مكان للضياع هنا.

عبيد: صدقت، ربما كنت أشعر إزاءك بالحيرة، بل هو إعجاب مغلف بغموض لا أفهمه.

آزاد: الغموض يكاد يكون منعدما لو زحفنا قليلا نحو قرون مقبلة، عندما نصل إلى القرن الواحد والعشرين مثلا يزول الغموض.

عبيد: وماذا سيكون من أمرنا حينئذ؟

آزاد: (يضحك) سنكون في عداد الموتى.

عبيد: يا لطيف.

آزاد: ولكننا سنتجدد.

عبيد: كيف؟

آزاد: أعني لو رحلنا إلى ذلك الزمن لن تتغير مهنتي ولكن قالبها هو الذي سيتغير... تخيل مثلا... قد يسموننني دبلوماسيا بلغتهم هم.

عبيد: (بعجب) ماذا قلت؟ دب ماسي.

آزاد: دبلوماسي أيها الجاهل، دبلوماسي.

عبيد: دب ماسي ... وأنا من أكون؟

آزاد: أنت سكرتير.

عبيد: (بدهشة) ماذا قلت؟ ... طير.

آزاد: إنس ما قلت ، وادخل الرجل.

عبيد: أنت دب وأنا طير.

آزاد: (يضحك) طر الآن ، وادع الرجل.

(يخرج عبيد، لحظات ويعود برفقة تفاحة، وهي شابة في مقتبل العمر. آزاد ينظر إليها باستغراب)

تفاحة: السلام عليك يا آزاد الجليل.

آزاد: (مشيرا إلى تفاحة) هذا الشيطان ، المتسربل في زي إنسان؟

تفاحة: يا ساتر يا رب (تتلفت حولها) أين الشيطان؟

عبيد: الشيطان في الخارج يا سيدي.

تفاحة: الحمد لله.

(آزاد ينظر إليها ويضحك)

عبيد: بينما كنت أحاورك قدمت تفاحة.

آزاد: لا أسأل عن هذا.

عبيد: قال الشيطان...

تفاحة: يا لطيف (تتلفت حولها)

عبيد: (مستدركا) فال الرجل الغريب: أدخل هذه الصبية ودعني أنتظر.

آزاد: (ساخرا) هكذا إذن؟

عبيد: إنه يحاور رداد.

آزاد: رداد في الخارج؟

عبيد: حضر لتوه.

آزاد: غريب ما أسمع، يحاور رداد...

عبيد: نعم.

آزاد: يحاور الزوار دون إذني... ما علينا. (يلتفت إلى تفاحة) خبريني يا بنية...

(عبيد يبتسم ويخرج مغلقا الباب، بينما يواصل آزاد)

آزاد: هل نفعت نصيحتي مع حماتك؟

تفاحة: نفعت يا سيدي، نفعت، لم تعد تؤنبني عن كل زلة تصدر مني وأنا قليلة الخبرة بالحياة.

آزاد: هذا بعد أن أشدت بعلمها وحنكتها.

تفاحة: وأكثر من ذلك، طلبت أن أتتلمذ على يديها مع أنها لا تفقه في الدنيا غير طبخ المرق.

آزاد: (ساخرا) هي خبرة على كل حال.

تفاحة: زينت لها خصالا نسبتها إليها وهي منها براء.

آزاد: جميل، جميل.

تفاحة: كما علمتني يا سيدي. والهدوء أصبح يخيم على بيتنا.

آزاد: سعيد بما أسمع (لحظة) وما سبب قدومك اليوم؟

تفاحة: لم أعد أتمن لها الموت.

آزاد: أحسنت يا بنيتي، فدنو الأجل بيد رب العالمين، وهو في علم الغيب كما تعلمين (لحظة) لم تقولي ما سبب قدومك إلينا إذن؟

تفاحة: زوجي يا سيدي.

آزاد: ما به؟

تفاحة: لم يعد يكسب كالسابق.

آزاد: (على حدة) هذا خبر مشؤوم.

تفاحة: ماذا يا سيدي؟

آزاد: (مستدركا) التجارة هكذا يا بنية، يوما ترفعنا إلى السماء، ويوما تهبط بنا إلى قعر الجحيم.

تفاحة: أعوذ بالله، هل سنهوي إلى سقر؟

آزاد: بعيد الشر، لكني أردت أن أقول يا عزبزتي أن التجارة دوارة.

تفاحة: أخشى أن يطول الأمد قبل أن نصعد إلى العلا.

آزاد: لكل ليل نهاية تفضي به إلى صبح مشرق ونهار جميل.

تفاحة: كلامك بلسم يا سيدي.

آزاد: الصبر يا تفاحة، اصبري على الضيم تنالي الخير بإذن الله.

(تفاحة تنظر إليه حائرة)

آزاد: عيناك تبديان توجسا.

تفاحة: صدقت يا سيدي.

آزاد: ماذا إذن؟

تفاحة: لا أملك لك أجرا اليوم.

آزاد: (على حدة) هذا هو الشؤم بعينه. (ينظر إليها بصرامة) لا تعودي يا تفاحة ألا إذا تحسن رزق زوجك لتسددي ما عليك من ديون .

تفاحة: (خجلة) سأفعل يا سيدي، سأفعل.

آزاد: (متملقا) أنت تعلمين أن أجري يدخر لفعل الخير، أنا لا أروم شيئا لنفسي.

تفاحة: صدقت يا سيدي.

آزاد: (بفتور) المقابلة انتهت ... مع السلامة يا تفاحة.

(تغادر تفاحة ويدخل رداد)

رداد: السلام عليك يا سيدي.

(آزاد ينظر إليه متفحصا)

آزاد: ماذا قال لك الشيطان؟

رداد: أعوذ بالله... عم تتحدث يا سيدي؟

آزاد: (مستدركا) بلغني أنك كنت تتحدث مع أحدهم في الردهة.

رداد: تعني مع غريب؟

آزاد: اسمه غريب؟

رداد: نعم يا سيدي، وهو غريب.

آزاد: غريب وهو غريب (بلهفة) عم تحدثتما؟

رداد: عن حالة الطقس.

آزاد: (ببرود) الطقس...

رداد: قال أنه أتى من بلد لا تفارقه الغيوم، وسألني عن سبب مجيئي إليك.

آزاد: وبماذا أجبت؟

رداد: لم يتسن لي الرد، إذ فتح الباب وولجت إليك قبل أن أجيبه.

آزاد: أحسنت ... والآن أفض لي بمكنونك.

رداد: أنت تعلم ما أعانيه يا سيدي.

آزاد: لا أبشرك بفرج قريب.

رداد: هل من أمل؟

آزاد: لولا الأمل لمات العالم.

رداد: العالم لا يموت يا سيدي، ولكن من هم على شاكلتي يموتون كل يوم ألف ميتة.

آزاد: كل هذا لأنك لم تظفر بوظيفة؟

رداد: سُدت أبواب الرزق أمامي.

آزاد: هذا حديث قليل الهمة، خائر العزيمة، أين إرادتك؟

رداد: وبماذا تنفع الإرادة وأنا مكبل اليدين؟

آزاد: يداك طليقتان، لكنك تضع حولهما قيودا من الأوهام.

رداد: أنا أفعل هذا؟

آزاد: مجيئك إلي يؤكد قولي.

رداد: هل أخطأت بقدومي؟

آزاد: (بسخرية مبطنة) بل أصبت (يمد يده نحوه) هات إذن.

رداد: عندما أظفر بعمل سأدفع لك.

آزاد: دينك يتضاعف.

رداد: إنصحني وسجل على الحساب.

آزاد: لا تجلس مكتوف اليدين وتولول كالنساء يا رداد ... العمل لا يأتيك على طبق من ذهب، عليك بالكد والجد.

رداد: (متنبها) هذا أوان جد الزيتون.

آزاد: (متنبها) وماذا تنتظر إذن، إذهب لأصحاب المزارع.

(ينظر إليه رداد آملا)

آزاد: (يواصل) وعندما يُجمع المحصول تأتي إلي هنا وتسدد دينك.

رداد: سأطرق هذا الباب (مترددا) لكنه عمل موسمي لا يدوم.

آزاد: سبحان الله، التذمر هو طبع الأنام. إظفر به أولا ولكل حادث حديث.

رداد: صدقت، صدقت. (يخرج)

آزاد: يوم مشؤوم، انتصف النهار ولم نظفر بدرهم واحد.

(تدلف عنبرة ، حماة تفاحة)

آزاد: (على حدة) هلّ الخير، لا بد وأن هذه الشمطاء تدخر شيئا ينفع.

عنبرة: الرجل الغامض يسترق السمع.

آزاد: (يصرخ) يسترق السمع؟

(عنبرة تتلفت حولها مرتبكة)

آزاد: وتسميه غامضا؟

عنبرة: (متماسكة) شكله غريب يا سيدي.

(آزاد يهز رأسه حائرا. لحظة)

آزاد: (متمالكا) دعينا منه، المهم أنت الآن، لا تفكري يا عنبرة إلا بنفسك في حضرة آزاد.

عنبرة : صدقت يا سيدي. (تضحك) أدعوك سيدي مع أنك بعمر ولدي البكر.

آزاد: العمر لا يُقاس بالسنوات يا عنبرة. (تنظر إليه مستفهمة، يواصل) قد يشعر الثلاثيني أنه ثمانيني لو كان مكتئبا، معرضا عن الحياة، وقد يشعر الشيخ بالصبا عندما تتجدد روحه مع إقباله على الدنيا (تنظر إليه بإعجاب، يواصل) أنت مثلا تبدين وكأنك إبنة ثلاثين سنة مع أنك في الستين.

(تنظر إليه بامتعاض)

آزاد: (مستدركا) لا عليك، الحقيقة مهملة، وعديمة الفائدة... المهم ما نراه فيك من حيوية ونشاط.

(عنبرة تقفز بنشاط وتضحك برعونة)

آزاد: نعم، أنت هكذا في الخامس عشرة..

عنبرة : عمري الحقيقي خمسون سنة لا ستون.

آزاد: بل خمس عشرة سنة يا عنبرة، خمس عشرة سنة.

(تضجك، آزاد ينظر إليها بخبث)

عنبرة : ليس عمري ما يشغل بالي يا سيدي.

آزاد: أعلم.

عنبرة : تقول الحق؟

آزاد: طبعا.

عنبرة : تحدث إذن.

آزاد: آزاد لا يبدأ الكلام مع أحد.

عنبرة : وتدعي أنك تعلم ما يجول بذهني وتسكت؟

آزاد: أعلمه علم اليقين.

عنبرة : (بدهشة) تعلم أني أداهن كنتي العجفاء.

آزاد: وأعلم أنها لم تعد تعاندك، بل أصبحت كخاتم في اصبعك.

(عنبرة تنظر إليه بإعجاب)

عنبرة : صدقت والله (بشك) لعل الخبيثة وصلت إليك؟

آزاد: يا عنبرة ، يا عنبرة... آزاد لا يُستجوب ولا يُسأل.

عنبرة : أعذرني لكن الأمر محير.

آزاد: داهنيها فتكسبيها في صفك.

عنبرة : ولكنها تداهنني هي الأخرى.

آزاد: وما العيب في ذلك؟ تبدأ العلاقات بالمداهنة والمسايرة حتى تتحول تدريجيا إلى حياة مهادنة، ثم تتطور إلى الحميمية ، سيتم هذا بالتدريج.

عنبرة : تعني هل سأحبها؟

آزاد: نعم وستحبك هي كذلك.

عنبرة : أشك في ذلك.

آزاد: (على حدة) الشك لصالحي على كل حال.

عنبرة : ماذا قلت؟

آزاد: أعني أن شكك سيقودك إلي في المستقبل القريب يا عنبرة (على حدة) وهذا مكسب.

(يمد يده نحوها) أين أجري؟

عنبرة : أنت لم تصنع شيئا اليوم.

آزاد: كيف؟

عنبرة : جئت فقط لأبثك أخباري، وكيف تحسنت أحوالي.

آزاد: بفضل حنكتي وتوجيهاتي.

عنبرة : اليوم لم تزد حرفا عما قلته سابقا.

آزاد: وشبابك الذي وهبتك إياه قبل قليل، لا يستحق المكافأة؟

عنبرة : ماذا تعني؟

آزاد: جعلتك إبنة ثلاثين ربيعا.

عنبرة : بل خمسة عشر...

آزاد: (بمكر) هكذا يزيد الأجر.

عنبرة : أيها الخبيث، أنت تراوغني بكلامك (مفكرة) هو كلام... مجرد كلام...

آزاد: وماذا تريدين غير كلام ترتقين به ليرفعك من الوحل الذي تغوصين فيه.

عنبرة : أنا أغوص في الوحل؟!

آزاد: كلامي سيحول كرهك إلى محبة ... محبة يا عنبرة، محبة، هل تفهمين؟

عنبرة : (مفكرة) لا أدعي أني أحبها، ولكني لم أعد أشعر نحوها بالكره.

آزاد: هذا تقدم قدتك إليه بفضل كلامي الذي تهزئين منه الآن.

عنبرة : لا أهزأ (مفكرة) أنا أعلم أنه مجرد كلام، ولكنه كلام يجلب الراحة للقلب المتعب.

(آزاد يمد يده نحوها)

آزاد: هاتي يا عنبرة، لا ترددي ... هاتي مما تدخرين.

(تمد يدها في صدرها، وتنظر إليه مترددة، وهو لا زال مادا يده نحوها. فجأة يدلف إلى الحجرة ثائر وهو شاب متمرد على الأوضاع. عنبرة تفاجأ بدخوله، وتسحب يدها من صدرها خالية وتنسحب نحو الباب لتخرج. لحظة وتقف تنظر إليهما بفضول. آزاد ينظر للقادم بدهشة. ولكنه يتمالك نفسه سريعا وينظر إليه بثبات. عنبرة تنظر بارتياب، هي قريبة من الباب

الموصد. آزاد يحدق بها أخيرا، وعندما تتنبه لنظراته تخطو نحو الخروج. آزاد يستوقفها)

آزاد: إلى أين يا عنبرة؟

عنبرة : أراك مشغولا الآن ، سأعود لاحقا.

آزاد: أنت هكذا تتهربين.

(تقف مترددة)

ثائر: (يصرخ) ماذا تنتظرين؟ غادري ولا تعودي.

آزاد: (يصرخ) بل إبقي، لي معك حديث.

ثائر: الحديث معي ، لا معها. (يشير إليها كي تخرج، فيمسك آزاد يدها لتقف إلى جانبه)

آزاد: وصلني أنك تحرض الناس على مقاطعتي.

ثائر: وسأفعل هذا ما حييت.

آزاد: (يفلت يد عنبرة) لكنك جئتني أخيرا، مثلك مثل أي شخص يلجأ إلى نصحي.

(ينظر ثائر إلى اللافتة ويضحك ساخرا، بينما تتسحب عنبرة وتخرج وتوصد الباب بهدوء. آزاد ينتبه ويهز رأسه نادما. ثائر يضحك)

آزاد: (يصرخ) لماذا أتيت إلي الآن؟

ثائر: (مشيرا إلى اللافتة) لم آت شاريا على كل حال.

آزاد: ومع ذلك أتيت.

ثائر: أنت تعلم أني زعيم المتمردين على الأوضاع.

آزاد: وأعلم أنك تحرض الناس على عدم دفع الضرائب، وأعلم أنك تحارب كبار التجار الذين يحتكرون الأسعار، وأعلم أنك تشهر سلاحك في وجه أي طامع في الديار.

ثائر: (بحزم) وأحاربك لأنك تغوي البسطاء وتستغلهم.

آزاد: أنت مخطيء إذ تظن هذا ... أنا أصب مائي لينهل منه المتعب فيرتاح. أنا أدلي بدلوي ليخرج كلامي منمقا يلامس بلوى الشاكي ف...

ثائر: (مقاطعا) فيظن أنك في صقه.

آزاد: وأنا كذلك فعلا... ما خدعت أحدا، أنا نصير الضعفاء.

ثائر: فتنهب أموالهم.

آزاد: لا تبالغ ... أنا أرتزق بما يدفعونه لي من فتات مقابل راحة بالهم .

(لحظة ثم بمكر) أنا أليّن قلب الظالم لو شئت.

ثائر: (ساخرا) وكم من الظلمة يأتي إليك؟

آزاد: أنا لا أختار مريدي على كل حال...

(يدخل غريب فجأة . غريب في زي معاصر)

(ينظران إليه بدهشة)

غريب: (يصرخ) بل ستختارهم...

(يحدقان به مندهشين)

غريب: (لثائر) وأنت بالذات ستكون أول من يطرق بابه. (لحظة)

غريب: (يصرخ) لا تنظرا إلي هكذا.

آزاد: (يحدق به) لكن هذا الزي الذي ترتديه ... من أنت يا هذا؟!

غريب: (بحزم وثبات) أنا دبلوماسي من القرن الواحد والعشرين .

(ينظران إليه بدهشة فائقة، آزاد فاغرا فاه)

***

*اللوحة الثانية:

(في حضرة الوالي. الوالي يجلس في الصدر، ويجلس حوله ثلاثة رجال من رجاله. آزاد وغريب يقفان في الوسط)

الوالي : (لغريب) لماذا تسللت إلينا مخترقا عصورا تفصل بيننا؟

رجل ١: ولم اخترت هذا (مشيرا إلى آزاد) لتحل عليه؟

رجل٢: من أنت؟

غريب: أنا نائب في البرلمان.

رجل٢: (بدهشة) ماذا؟

الوالي : تكلم بلغة مفهومة.

آزاد: هو يعني أنه عضو في مجلس الشورى في بلاده.

الوالي : مركزك مرموق، ومن يصل إليه يتمسك به، ولكنك عجبا تترك إرثك هذا لتخترق عالمنا وتصل إلينا بمفاهيم مستغلقة علينا.

رجل٣: أنت ببساطة تثير الفتن حولنا.

رجل٢: والغريب أن آزاد يتأثر بك .

رجل١: لم تقل، لم اخترته بالذات لتحل عليه؟

غريب: لتشابه كبير بيننا.

الوالي: كيف؟

غريب: هو يستقبل الناس ويستمع إليهم، ويهديء غضبتهم بكلامه المعسول.

الوالي: هو يفعل هذا برضانا وتوجيهاتنا حتى تهدأ الأمور، ويستتب الأمن.

رجل١: مهلا... نحن لا نسأل عن آزاد، نحن نسأل عنك أنت بالذات.

غريب: وأنا أفعل ذات الشيء في بلادي، أستقبل الناس وأهدئهم بوعود (ينفخ على ظهر يده) وعود... كلانا بائع كلام.

آزاد: ومع هذا هناك فرق.

غريب: كيف؟

آزاد: أنت تبيع الكلام لتحافظ على مقعدك.

غريب: الأمر سيان، وأنت تفعل ذات الشيء تواطئا مع دولتك وبالتالي لتحافظ على مكانتك، نحن متعادلان.

الوالي : كفاكما جدالا، دعونا في المهم الآن. (لآزاد) ماذا عن ثائر؟ علمنا أنه يتردد عليك، وقد سررنا لأجل هذا، ولكنك لم تخبرنا بالتفاصيل.

آزاد: بدأت أستقطبه رويدا رويدا، وأظن أنه بدأ يلين.

الوالي : همتك يا آزاد، همتك.

آزاد: طوع أمرك يا مولاي.

الوالي : أما بخصوص هذا الضيف (مشيرا إلى غريب) فلسنا مرتاحين لوجوده معك.

غريب: لماذا يا سيدي؟

رجل١ : أصبح الناس ينادون بشعارات غريبة عنا وقد تعلموا هذا منك.

(ضجة من بين المشاهدين حيث أن الأشخاص المعنيين بإتمام المشهد يتوزعون بين المشاهدين ويُحدثون الضجة)

الوالي : ما هذا الهرج؟

(الضجة تتصاعد)

رجل١ : أظن أن هناك أناس يقتربون منا.

الوالي : صه.

(يصيخون السمع)

أصوات: (من بين المشاهدين) إفتحوا الأبواب، نريد الدخول إليكم.

الوالي : (لغريب) أيعجبك هذا؟

أصوات: لا تمسوا الغريب بسوء.

(تتكرر الأصوات مطالبة بسلامة الغريب)

الوالي : (بدهشة وانزعاج) أصبح لك أتباع هنا؟

رجل٢: دعني أهدئهم يا مولاي.

الوالي : بل ليفعل هذا آزاد (مشيرا إلى آزاد) هيا .

(آزاد يقف في واجهة المسرح أمام المشاهدين)

آزاد: الهدوء أيها الناس، الهدوء، الغريب بخير.

أحد الناس: نريد الدخول إلى الوالي.

آزاد: نحن نتحاور مع الوالي فقط، وعما قليل سنخرج إليكم.

(الضجة تتصاعد مطالبة بالدخول)

رجل٢: (يقترب من آزاد) حسنا، انتخبوا من بينكم من يمثلونكم للدخول إلينا.

أصوات: نعم، سنفعل.

(فترة بسيطة، ويصعد إلى المسرح كل من عبيد ورداد وثائر وعنبرة وتفاحة وعدة أشخاص آخرين)

رجل٢: مرحبا بكم.

الوالي: ما هي مطالبكم؟

رداد: أولا: سلامة الغريب.

آزاد: كما ترون، الغريب ضيف معزز مكرم.

الوالي: ولكن عجبا لماذا تدافعون عنه؟

شخص١: تعلمنا منه الكثير.

رجل١: وماذا تعلمتم غير الثرثرة؟

(الوالي يتنحنح منبها)

آزاد: (مستدركا) هو يقصد أنكم تعلمتم رفع الشعارات في وجوهنا.

شخص٢: ولكنك معنا، فكيف نرفع الشعارات في وجهك؟

آزاد: (مستدركا) أنا أعبّر عما يجول بذهن هؤلاء الرجال (مشيرا إلى رجال الوالي)

رجل٢: أيها الناس، لقد كنا نعيش معكم بهدوء قبل حلوله بيننا، هذا كل ما في الأمر.

شخص: لم يتغير شيء، فقط تبلورت أفكارنا مستنيرين بحكمته.

(غريب يهز رأسه بأسًى)

رداد: أين الهدوء؟ سدت أبواب الرزق في وجوهنا، ونحن نبحث عن عمل نقتات منه ولا نجده.

غريب: البطالة.

رداد: نعم، البطالة أيها السادة.

الوالي: (مستاء) شعار جديد.

(يتبادل الوالي مع رجاله النظرات بقلق)

الوالي: (مستدركا) لا تحمّلنا تبعية فشلك يا هذا.

رجل١: كونك فاشل ، لا تتقن صنعة تقتات منها، هذه ليست مسؤوليتنا.

رداد: أنا أتقن كل شيء لكن الأبواب مسدودة أمامي. (لحظة) البطالة يا سادة ... البطالة.

رجل٢: كف عن الثرثرة.

الوالي : لا بأس، لا بأس. (بهدوء مصطنع) سننظر في أمرك يا هذا.

رداد: مثلي كثيرون.

الوالي : كونكم لا تجدون عملا لا يخولكم التمسك بهذا الغريب.

عبيد: هو من عالم سبقونا بالعلم والفكر والحضارة (منبهرا) الحضارة يا سيدي، الحضارة.

شخص٢: تخطّوا عقباتنا من زمن طويل.

شخص٣: تغلبوا على الصعاب التي نعاني منها الآن.

(الغريب يهز رأسه بأسى)

عبيد: نحن بعيدون عن حضارته التي يتحدث عنها... ولكننا عشقناها يا مولاي.

الوالي : ما لنا ولحضارته، هو من عصر مختلف لم نصله نحن.

ثائر: ونحن إذ لا نصل إلى حضارته نتيح لأنفسنا متعة التخيل.

عبيد: والخيال يا سيدي كالحلم جميل.

عنبرة : والأحلام يا سيدي تجعلنا ننسى قسوة الحياة. (تنظر إلى تفاحة)

تفاحة: وهل أنا التي أجعل حياتك قاسية؟

غنبرة : كفي عن التفاهات في حضرة الوالي، تحرري من جهلك.

غريب: تحرير المرأة.

الوالي : (منزعجا) شعار آخر (لغريب) أنت تسمم عقول العامة بأفكارك يا هذا!

ثائر: هو لا يفسد عقولنا، بل الجهل يفعل هذا ونحن نطالب بالقضاء عليه لنتحرر من الداخل.

الوالي : لكنكم أحرار، طلقاء.

رجل١: وتدعون عكس هذا.

شخص: نريد أن نقضي على الظلم.

الوالي : وما علاقة هذا بتمسككم بالغريب؟

ثائر: قوم الغريب حرروا أنفسهم من الظلم.

(الغريب يبدو حزينا)

الوالي : ومن ظلمكم؟

ثائر: ضعضعة الأحوال، وقلة المال.

شخص٢: العدل والإنصاف مطلبنا.

غريب: أصوات الجماهير.

رجل١: هل تشكون في عدل الوالي؟

ثائر: هناك فئة من المتنفذين يتحكمون بمصائر العامة.

غريب: الفساد.

الوالي: فساد؟ ماذا تعني؟ أهو شعار آخر من شعاراتك؟

غريب: (حائرا) أنا أُسقط واقعكم علينا وأقع في متاهة لم أكن أتصورها قبل قدومي إليكم.

الوالي: فساد، بطالة، ظلم، تحرير المرأة، أصوات الجماهير... هذه كلماتك تبثها في عقول قومي فيثورون علينا، لماذا تثير الفتن وقد كنا نعيش بسلام قبل حلولك بيننا، لم تفعل هذا بنا؟

غريب: أنا واقع في حيرة يا سيدي، الظلم هو الظلم كما أرى ولكن...

ثائر: لا للظلم.

آزاد: نحن ندعو على الظالمين.

عبيد: اللهم اجعل مثواهم النار.

تفاحة: ولطخ وجوههم بالقار.

ثائر: وانصرنا عليهم بحد السيف.

عبيد: لا للظلم، ولا للخونة الذين يستعبدون الأحرار.

الوالي: طفح الكيل، تهددون برفع سيوفكم في وجوهنا؟

آزاد: (مستدركا) في وجوه الغزاة يا مولاي.

الوالي: أين الغزاة؟ دحرناهم من زمن .

ثائر: مقابل ولائنا لهم فندافع عنهم أمام أعدائهم ، وأعداؤهم أصدقاؤنا.

الوالي: هذه أمور لا يفهمها إلا ولاة الأمر، المهم بلدنا سالم آمن الآن.

غريب: إستعمار سياسي.

الوالي: كف عن ترديد شعارات ركيكة ، جوفاء، نحن نرفضها شكلا ومضمونا (يرتبك وينظر إلى الغريب ويواصل) أراني أتكلم بلغتك يا هذا (يصرخ) أنت تحرض شعبي، بل وتحرضني على نفسي...

غريب: معاذ الله أن أفعل هذا، لكن الدفة مالت إلى جانبي وأنا أنوء بحملها، أعترف لك.

الوالي: لا أفهمك.

غريب: ببساطة أتخيل قومي إذ يقولون: يسقط الإستعمار، وعبدة الدولار.

الوالي : (بدهشة) ومن هذا المعبود؟

غريب: الدولار يا سيدي، البنك المركزي.

رجل١ : كلامك مبهم.

آزاد: هو يقصد الدرهم، وبيت المال يا مولاي.

الوالي : نحن نعاني من عجز في بيت المال، لذا نرفع الضرائب فنُقابل بالصد مع أننا نفعل هذا لننقذ البلاد من السقوط في الهاوية.

ثائر: الأجدر أن تجدوا حلا بعيدا عن قوت الشعب.

غريب: الحلول كثيرة ولكنها تتطلب تغلغلا بين من يتحكمون بالمال العام.

ثائر: الفرنجة يا مولاي يتحكمون بمالنا وثرواتنا.

غريب: الإستعمار الإقتصادي.

الوالي : (بنفاد صبر) أنت تلقن شعبي شعارات لا تنتهي فيتمردون، كفى استهتارا وارحل إلى بلادك.

رجال الوالي: نعم، ليرحل فورا.

الجماهير: بل ليبقى بيننا. نريده معنا.

(تتكرر الأصوات مطالبة ببقائه. يضع الوالي يديه على أذنيه منزعجا)

*اللوحة الثالثة:

(ساحة عامة. حشد من الناس. يقف في الواجهة كل من آزاد وغريب ورجل١)

رجل١: الصبر أيها الناس

الصبر

أصوات: الفقر يا سيدي..

الفقر

رجل١: ليكن الأمل بالله نصب أعينكم، والله لا ينسى عباده.

أصوات: البطالة..

الفساد

الظلم

رجل١: لا ترددوا شعارات غريبة علينا، كونوا أنفسكم بالتعبير عما يخالجكم من أحاسيس.

أصوات: الجوع

أطفالنا جياع

آزاد: الفرج قريب، اصبروا فقط.

أصوات: طفح الكيل

ذقنا الويل

رجل١: ستحل مشاكلكم بإذن الله.

(رجل١ ينكش غريب في كتفه حاثا إياه على الحديث. غريب صامت مكتئب)

رجل١: نحن نعلم أنكم تحترمون الغريب وتثقون بكلامه، إسمعوه إذن.

(يدق غريب في كتفه من جديد)

غريب: نعم الفرج قريب، الوالي معكم، وقد علمت أنه طلب المعونة من الدول المجاورة وينتظر الرد.

رجل٢: لذا نرفع الضرائب لنسدد ثمن ما سنحصل عليه من معونة.

أصوات: هذا ظلم

هذه سرقة

هذا غش

آزاد: أزمة عابرة وسنتخطاها بإذن الله.

أصوات: ليتكلم الغريب

كيف تخطت بلاده هذه الأزمات

عنده الإجابة

(غريب صامت، حائر)

رجل١: (لغريب) تحدث، قل شيئا.

(غريب يهز رأسه بأسى وصمت)

أصوات: تحدث يا غريب

حديثك فيه الحل الشافي

تحدث

منك سوف نتعلم

بنصحك سوف نعمل

غريب: (صامت)

رجل١: تحدث.

غريب: ليس عندي ما يقال.

رجل٢: (غاضبا) أشعلت فتيل الغضب ، وتصمت الآن (يصرخ) تحدث.

أصوات: تحدث يا غريب

قل شيئا

نريد حلا

والحل بيدك

سنعمل بتوجيهاتك

غريب: (محبطا) نحن مثلكم نعاني من شح المحصول، ونشتري احتياجاتنا من دول أخرى ولا نسدد أثمانها فتتراكم ديوننا.

أصوات: الغريب يراوغنا

غريب: نحن نعاني من عجز مالي.

أصوات: الغريب يكذب.

يقول هذا لتخف وطأة معاناتنا

كلامه مبطن

غريب: (يصرخ) حربنا المقبلة حرب مياه ستكون.

أصوا: لا نفهم ما تقول.

غريب: البلاد المجاورة لنا تسد منابع أنهارنا فتجف.

أصوات: ولم ترضخون؟

كيف تسكتون؟

غريب: نحن ضعفاء، وحقوقنا ضائعة.

أصوات: بل أنتم أهل الحضارة والنعيم

أنتم الأقوياء

أنتم بلاد الطهر والنقاء

غريب: هراء، هراء.

أصوات: أنتم قدوتنا

غريب: الفساد مستشر في بلادي، هذه هي الحقيقة.

أصوات: محال، محال.

غريب: ديون بلادي جاوزت الحد، وعبدة الدولار يتحكمون بمصائرنا.

أصوات: محال، محال

كلامك غير معقول

أنت تكذب

غريب: (يصرخ) وعندنا بلاد سليبة، محتلة من أجانب يعيثون بالأرض فسادا.

أصوات: أنت تبالغ لتشوه واقعك، فنرى واقعنا أجمل.

غريب: (مترددا) قد يكون واقعكم أجمل...

صوت: لا نظنك أتيت لتقول لنا هذا الآن.

غريب: جئت أبحث عن الأصالة والنقاء، بعيدا عن نفاق عصرنا وزيفه.

صوت مميز: عصرك عصر الحضارة والنور.

أصوات: عرفناك قويا

عهدناك وفيا

لماذا تتخلى عنا الآن

لماذا تراوغنا

غريب: أشعر إزاءكم بالضياع.

أصوات: أنت معلمنا

غريب: جئت أتعلم منكم.

أصوات: بل أنت المعلم.

غريب: هذا يخيل لكم فقط.

أصوات: علمتنا شعارات دغدغت أحاسيسنا فأحببناك.

صوت مميز: الشعارات تعبر عن واقعه المظلم على ما يبدو.

أصوات: الظلام هنا وليس عندهم.

غريب: بلادنا بؤرة ظلام وظلم.

أصوات: محال، محال.

غريب: واقعنا ملوث.

أصوات: أنت تخدعنا.

صوت مميز: أنت تقتل أحلامنا بمستقبل نتطلع إليه من خلالك.

أصوات: أنتم مستقبلنا.

غريب: لا مستقبل لكم إذن.

صوت مميز: لا تحكم علينا بالإعدام يا غريب.

غريب: ما قصدت هذا...

أصوات: لماذا أتيت إلينا ؟ نكرر السؤال.

غريب: حسنا، جئت أبحث عن حلول لواقعنا المهلهل.

صوت: أنت تستخف بعقولنا.

غريب: أنتم أفضل منا، صدقوني.

صوت مميز: الدنيا تسير إلى الأمام وأنتم سبقتمونا بعصور، فكيف نكون أفضل منكم؟

غريب: لا تفسير عندي.

أصوات: لأنك كاذب.

لأنك مخادع

انقلبت ضدنا

حسبناك صديقا

صوت: (مستفز) أنت عدونا

أصوات: أنت عدونا

أنت عدونا.

آزاد: دعوا الغريب وشأنه، ولنعتبر قدومه إلينا غلطة ارتكبها وورطة وقع فيها ولا يجد لها مخرجا.

رجل١: (مستفزا) ماذا صنع الغريب غير إشعال نار الفتنة أيها الناس؟

صوت: الفتنة مصدرها الفساد الذي يحيط بنا ، وليس للغريب ضلع في هذا.

أصوات: الغريب نكأ جراحاتنا

والآن يستخف بنا

صوت مميز: سحقا للغريب

رجل١: (مستفزا) يسقط الغريب

آزاد: دعوا الغريب وشأنه.

رجل١: لا تدافع عنه يا آزاد، هو عدونا، أثار فتيل الغضب عندنا، والآن يتخلى عنا.

صوت: (مستفزا) ليرحل الغريب.

أصوات: يسقط الغريب

يسقط الغريب

صوت مميز: هو سبب دمارنا

أصوات: يسقط الغريب

رجل١: (بحماس) أطردوه أيها الناس

أطردوه.

أصوات: يسقط الغريب

يسقط الغريب.

(يهجمون نحو الغريب بينما تهبط طائرة ورقية من أعلى المسرح، يمسك بها غريب ويغادر أمام ذهول الجميع)

آزاد: (متمالكا) أقلع الغريب إلى بلاده.

رجل١: (مستفزا) هرب الغريب، هرب الذي أشعل نار الفتنة أيها الناس.

أصوات: هرب الغريب

هرب الغريب

رجل١: انتهت مشكلتنا أيها الناس، لنعد إلى هدوئنا إذن.

صوت: ليس الغريب عدونا أيها الناس، قبل قليل كنتم تطلبون نصحه، ولآن انقلبتم ضده (يصرخ) الفساد عدونا.

أصوات: الفساد عدونا

الفساد عدونا

آزاد: الصبر، الوالي سيعالج الأمر.

أصوات: إلى الوالي

إلى الوالي

(يغادرون وهم يهتفون، فوضى عامة)

***

السـراب

(المسرحية الرابعة)

فصل واحد

شخصيات المسرحية

الرجل

المرأة

***

(حجرة في بيت، حيث تظهر واجهة الجدار الأيمن متهدمة، يدخل الرجل، يجول بنظراته في أرجاء المكان)

الرجل: سلام عليك أيتها الأطلال... لتشهد هذه الجدران أني بحثت في كل زاوية وكل ركن دون جدوى، ولكني سأواصل البحث، سأغربل الهواء، وأبحث بين حبات الرمل وسأجدك... نعم سأجدك، ولكني تعبت... تعبت.

(يصمت، لحظة ثم تدخل المرأة، وهي شابة وجهها مشوه تشويها بليغا إثر إصابته بحروق، الرجل يجفل لدى رؤيته لها، يبدو مستغربا ثم يشيح بوجهه جانبا، لحظة ويحدق بها باهتمام، يهز رأسه باستنكار، ثم يشيح عنها من جديد)

المرأة : أنظر إلي.

(يلتفت إليها للحظة ثم يطرق)

المرأة : (بحزن) أنت لا تستطيع أن تنظر إلى هذا القبح.

الرجل: (مطرقا) من أنت أيتها المرأة؟ وماذا جاء بك إلى هنا؟

المرأة : (بضعف) لا تتحدث وأنت معرض عني، فهذا يؤلمني.

الرجل: أعذريني، ولكني أراك للمرة الأولى، وأستغرب ولوجك المكان دون استئذان.

المرأة: أنظر إلي وأنت تحدثني أرجوك، فهذا يعيد إلى نفسي بعض ثقتها.

(الرجل ينظر إليها ويغالب إحساسه بالضيق، ويتكلف الابتسام)

المرأة: كيف أبدو لك؟

الرجل: أنا لا أفهم معنى سؤالك؟

المرأة: لذا تتحاشى أن تنظر إلى وجهي.

الرجل: أنا فقط لم آلف وجهك بعد.

المرأة: (بحماس وأمل) ولكنك ستعتادني مع الأيام، أليس كذلك؟

الرجل: (بذعر) لماذا؟ هل يجب علي أن أعتادك؟

المرأة: (بحزن) ألن تفعل؟

(الرجل يضحك، يتحول ضحكه إلى ضحك هستيري، وهي ترقبه بصمت، يكف عن الضحك وينظر إليها)

الرجل: (بجلافة) ماذا تريدين مني؟ أنا حتى لا أعرفك.

المرأة (بيأس) معك حق... أنا غريبة حقا.. . غريبة عن نفسي وعن الآخرين... أشعر أن وجهي أصبح قناعا يحجب حقيقتي، قناع لم أصنعه بإرادتي... على العموم لقد تخيلت النتيجة (بيأس) لا مفر من الرحيل ... لا مفر من الرحيل.

الرجل: عم تتحدثين؟

المرأة: لا تشغل بالك، سأخرج.

(تَهِمّ بالخروج، يقف في طريقها)

الرجل: لن تخرجي قبل أن أعرف لماذا جئت؟

(المرأة تنظر إليه بصمت)

المرأة: حتما أنت أتيت إلى بيتك، لترى زوجتك؟

الرجل: (بشرود) ربما. لكن أين هي إذن؟

(صمت)

الرجل: متى رأيتها آخر مرة؟

(تنظر إليه بصمت وحيرة)

الرجل: (منفعلا) أخبريني أين هي؟ (لحظة ثم بهدوء) عدت اليوم وبحثت عنها في كل مكان، عند الأقارب والأصحاب، لم أجدها، ولم يؤكد لي أحد موتها... لعلك تعرفين الحقيقة؟

المرأة: (بشرود) تحبها؟

الرجل: (بنفاد صبر) هل هي على قيد الحياة؟

المرأة: لم تجب... هل تحبها؟

الرجل: (يصرخ) وما شأنك أنت؟ (لحظة ثم مستدركا) أنا فقط أبحث عنها (يحدق بالمرأة) وأظن أنك تشبهينها (يشيح بوجهه سريعا ثم يقول مستدركا) لا... لا... بل أنت مختلفة عنها تماما... تماما (بهدوء) لكن هي... هل ستأتي؟

المرأة: نعم ، ستأتي.

الرجل: (بلهفة) متى؟

المرأة: (مرتبكة) عندما ... عندما... لا أدري، ولكنها ستعود حتما.

الرجل: شكرا لك إذ تحاولين تهدئتي، ولكن هذا لا يكفي، أريد أن أعرف الحقيقة.

(المرأة صامتة)

الرجل: (حالما) قلبي يحدثني أنها لم تمت... بل هي في مكان ما تنتظرني... لكن الشك... الشك... أنقذيني واحسمي الأمر أنت.

(المرأة صامتة)

الرجل: (يصرخ) قولي شيئا... قولي ماتت أو ... أو...

المرأة: بل هي على قيد الحياة.

الرجل: (يمسك المرأة بعنف) أين هي إذن؟

المرأة: (تصرخ) لا أعرف... لا أعرف (تتخلص من قبضته)

الرجل: ما دمت تعرفين أنها ليست هنا، لماذا أتيت ؟

المرأة: (مرتبكة) جئت لـ ... لـ...

الرجل: (يصرخ) نعم، لماذا جئت؟

المرأة: (بتحد) هذا بيتي.

الرجل: (يضحك بسخرية) كيف انقلبت الأمور وأصبح هذا بيتك؟

المرأة: (بهدوء ومراوغة) بعد أن هُدم بيتي لجأت لهذا المكان واحتميت به و...

الرجل: (يصرخ) أين هي صاحبة البيت إذن؟

المرأة: (تصرخ) كانت قد رحلت قبل قدومي لتحتمي في مكان آخر بعد أن تهدم هذا الجدار (مشيرة إلى الجدار المتهدم، ينظر إليها باهتمام وشك، مستدركة بسرعة) لم يحدث لها مكروه، ولكنها رحلت إلى حيث لا أدري (بهدوء وحزن) ودخلتُ أنا ... وسمحت لنفسي أن أقيم هنا خيرا من بقائي على قارعة الطريق.

الرجل: (بعجب) أنت تعيشين هنا إذن؟

المرأة: الحرب أيها الشاب، الحرب... البيت كان مهجورا وأنا بلا بيت (مستدركة) ولكني سأذهب ما دمت قد عدت.

(تقف وتنظر إليه حائرة)

الرجل(مترددا): إلى أين ستذهبين؟

المرأة: (حائرة) لا أعرف.

الرجل: ليس لك أقارب؟

المرأة: (بسرعة وأمل) لا ... لا أحد.

(الرجل يصمت مطرقا، تصاب بخيبة وتهم بالخروج)

الرجل: ولكن...

(تقف وتنظر إليه)

الرجل: (بلطف) الحرب تبيح لنا أن نكسر المألوف، لا تنحرجي، اعتبريني لم أعد بعد...

(تنظر إليه مضطربة، سعيدة، يتابع)

الرجل: نعم... أقيمي هنا ريثما نجد لك حلا.

(تبدو مرتبكة ومنفعلة)

المرأة: شكرا لك ... أنت طيب... هذا ما أعرفه عنك.

الرجل: (بسخرية) وماذا تعرفين عني أيضا؟

المرأة: لا تستغرب، زوجتك حدثتني عنك.

الرجل: (يصرخ) ولكنك تقولين أنك لم تقابليها.

المرأة: (مستدركة) قابلتها سابقا... قبل الحرب... كنت أعرفها.

الرجل: (بسعادة) وكانت تتحدث عني؟

المرأة: (فجأة) ولكني أشعر بالألم كونك لا تطيق النظر إلى وجهي.

الرجل: لا تغضبي... قد أعتادك فعلا، لكن لا تطلبي مني هذا سريعا.

المرأة : (بحماس وسرور) يكفيني هذا الآن... أعدك ألا أكون لحوحة، سأحتمل إعراضك عني، ولن أحقد عليك، فمنظري فعلا يثير الاشمئزاز، حتى أنا لا أطيق أن أنظر إلى المرآة (بشرود) وعندما تطحننا دوامة الحياة، وننغمس وراء همومنا ننسى التفاصيل، حينئذ أنسى ما حدث لي (بحماس) وينتابني شعور مليء بالثقة التي كنت أشعر بها سابقا (بهدوء وحزن) ولكن الناس يذكرونني بالحقيقة دائما، أرى هذا في نظراتهم (منفعلة) الشفقة التي أراها في عيونهم تقع علي كالسياط، والاشمئزاز الذي يخفونه يعذبني (بهدوء وبلهجة حالمة) مع أني كنت محبوبة... أتدري كم هو جميل أن يشعر المرء أنه محبوب، أن يعيش الحب؟

الرجل: كانت لك قصة حب إذن؟

المرأة: كان زوجي يحبني.

الرجل: أنت متزوجة؟

المرأة: كنت جميلة، ورائعة. (يبتسم، تتابع منفعلة) أنت لا تصدقني.

الرجل: أنا فقط لا أتخيل ما كان شكل وجهك قبل هذا الـ... أهي إصابة حرب؟

المرأة: نعم، الحرب هي التي فعلت هذا بي.

الرجل: وزوجك؟

المرأة: ما به زوجي؟

الرجل: هل تخلى عنك؟

المرأة: وهل يفعل؟

الرجل: لا أعرف... أنا أسال فقط.

المرأة: لو كنت مكانه ، هل تتخلى عني؟

الرجل: (بذعر) ولماذا أكون مكانه؟

المرأة: (حزينة) ذعرت لمجرد الإفتراض.

الرجل: لا... ولكن... لم هذا الإفتراض الـ... (يصمت)

المرأة: الـ.. ماذا؟

(الرجل يصمت)

المرأة: لا عليك... أنا فقط أردت أن أطمئن على مصيري.

الرجل: لا أعرف أيتها المرأة، لا أستطيع أن أطمئنك، أنت في محنة.

المرأة: (منفعلة) أنت جلف... كان عليك أن تطيب خاطري، وتقول شيئا جميلا.

الرجل: أطيب خاطرك وأنت تشتمينني؟

المرأة: كان عليك أن تظهر لي الود.

الرجل: (بدهشة) وهل مطلوب مني أن أفعل هذا؟

المرأة: (بضعف) نعم... (منفعلة) ولكنك تكرهني.

الرجل: ولماذا أكرهك وأنا أكاد لا أعرفك.

المرأة: (حزينة، شاردة) وتقول أنك لا تعرفني.

(لحظة صمت متوتر)

الرجل: إني أدرك الآن الحقيقة التي تختبيء في صدرك.

المرأة: (مرتبكة، قلقة) بح بها إذن.

الرجل: لقد تخلى عنك زوجك فعلا، لذا أنت مضطربة.

المرأة: (بتحد) لا ... لم تفطن.

الرجل: (بدهشة) ألم يفعل؟

المرأة: (بحزن) وتستهجن هذا أيضا؟

الرجل: لم أقصد... ولكني فقط أردت أن أعرف الحقيقة التي تكتمينها (بشرود) والتي أراها ، وأرفض تصديقها ، لأن الحقيقة أحيانا تبدو كالسراب، وعندما نكتشف كنهها يسكننا السراب ونضيع .

(لحظة متوترة ثم يصرخ)

الرجل: أين هو زوجك أيتها المرأة؟

المرأة: (بشرود) ذهب للقتال، ولم يعد بعد (بانفعال) ولا أعرف هل سيتخلى عني أم لا (بهدوء) ولكني أعرف أنه على قيد الحياة (حالمة) مفعم بالحيوية والنشاط، ورائع... رائع.

الرجل: صوتك رقيق عندما تتحدثين عنه.

المرأة: وعندما تنظر إلي تتلاشى رقته؟

الرجل: أنا لم أقل هذا.

المرأة: (منفعلة) ولكنك تفكر فيه.

الرجل: لا تحاولي أن تصلي إلى ما يفكر فيه الآخرون، هكذا ستتعبين.

(لحظة)

المرأة: المدهش في الأمر أن قصتينا متشابهتان، أنت تنتظرها وأنا أنتظره.

الرجل: جميل أن ننتظر معا.

المرأة: نعم، إنه لمن القسوة أن ينتظر المرء مصيره وحيدا.

(لحظة شرود)

الرجل: لكن... ماذا ستفعلين لو تخلى عنك زوجك؟

المرأة: أوه... لماذا أعدتني للواقع... كنت أفكر بالسراب الذي يسكننا ... كيف نمتلكه، ونحيله إلى حقيقة...

الرجل: (بشرود) السراب... السراب... دعينا من السراب وتابعي معي.

المرأة: ماذا؟

الرجل: (بشرود) ماذا لو تكون زوجتي قد أصيبت أثناء الحرب، وفقدت جمالها؟

المرأة: (بحماس) نعم ، نعم...

الرجل: (متابعا) أو ربما تكون قد تشوهت مثلك...

المرأة: (بحماس) هذا احتمال وارد (بانفعال شديد) بل هذه حقيقة.

الرجل: (يصرخ) لماذا توافقينني؟

المرأة: (تصرخ) كنت أجاريك في تأملاتك.

الرجل: كاذبة (بهدوء ولؤم) أنت تتمنين أن تتشوه النساء جميعا لأنك تشوهت.

المرأة (متألمة): لا ... لا.

الرجل: (بقسوة) القبح الخارجي قد ينعكس للداخل، أنت تشعرين بالحقد إزاء الآخرين (يصرخ) لقد تشوهت روحك (أشد صراخا) تشوهت روحك.

(المرأة تبكي، لحظات ويرق لها)

الرجل: سامحيني... لم أقصد... ولكنك توافقينني مع أني جنحت بخيالي نحو المستحيل.

المرأة: (تصرخ) أنت فظ وجلف... أين تعلمت كل هذا؟ أثناء القتال؟ مع أني أشك أنك كنت مقاتلا!

الرجل: بل كنت مقاتلا.

المرأة: هذا لا يبرر قسوتك.

الرجل: القسوة أن يرى المرء نفسه عاريا.

المرأة: (بتحد) أنا لا أخجل من عريي لأنني نقية، ولكنك أنت ملطخ، لذا ترى الآخرين بمرآتك، وتجرح بسهولة دون أن تشعر بالتأنيب أو الخجل.

الرجل: (بلطف) لكني اعتذرت.

المرأة: (أشد انفعالا) أنت جبان... وهارب من المعركة، والدليل أنك لم تصب بأذى.

الرجل: (منفعلا) وتتهمينني بالجبن والهرب؟ (بحماس) لتعلمي أني قاتلت قتالا مريرا، وحققت انتصارات شتى (بهدوء) قُتل رفيقي الذي كان يحارب معي، وأخذت ما كان في حزامه من ذخيرة، ووجدت قطعة خبز كذلك في حزامه، أعادتني للحياة تلك القطعة، كنت جائعا وهو يخفي الخبز في حزامه، حقدت عليه (بحماس) وسررت كونه قُتل لأحصل عليها، ثم شعرت بتأنيب الضمير (بهدوء) وبكيت بحرقة لأكفّر عن ذنبي، ولحزني على فراقه، ولفرحي بالنجاة (يصرخ) ليس الذنب ذنبي أني لم أُقتل أو أُصب (بهدوء) كنت أرى الموت أمامي كل لحظة.

المرأة: (بلؤم) وكنت تفرح لمصائب الآخرين، دموعك لا تمسح لؤمك.

الرج: (متألما) لست لئيما... لا... لا.

المرأة: ليتك مت لتبقى رمزا جميلا في ذاكرتي.

الرجل: (بدهشة) وتتمنين موتي؟

المرأة: أو موتي أنا لنضع نهاية لما وصلنا إليه.

الرجل: أية نهاية هذه؟ إنه مجرد سوء تفاهم، لقد قسوت عليك، وأنت لا تبيتين ثأرا... ربما لأننا جريحان، كلانا يتعذب فيلقي بهمومه على الآخر... الموت... لا... الأمر لا يستحق طلب الموت... لا... لا.

المرأة: (بشرود) مفعم بالحيوية، ومقبل على الحياة... عهدي به، كأنه يريد أن يعيش أبد الدهر.

الرجل: (بشرود) قاسية، صلبة... أين ليونتها، ورقتها، غاصتا إلى الأبد.

(الوقت الآن غروب، والمكان أصبح مظلما نسبيا، تتنبه لذلك المرأة)

المرأة: (بشرود) كان يعشق الغروب.

الرجل: (متنبها) لا تطلبي مني أن أشعل النور، دعيني أعيش الغروب بتفاصيله.

المرأة: الكهرباء مقطوعة على كل حال.

الرجل: لماذا؟ مخلفات الحرب؟ ... أفضل (لحظة ثم ينظر إليها طويلا) أتعرفين. أنت تبدين أقل قبحا في الظلام.

المرأة: سأكون جميلة عندما يصبح الظلام دامسا، لأنك ستراني بمخيلتك فقط.

الرجل: مع الظلام تختبيء الحقائق.

المرأة: إنها تغفو وتحلم.

الرجل: (بدهشة) من ... الحقائق؟

المرأة: نعم ... أنا مثلا أحلم أني أميرة ، أجلس في برج عال... وأرقب المعجبين الذين يتهافتون للاقتراب مني، وأنا أتمنع عليهم لأني امرأة مستحيلة.

الرجل: جميل... جميل خيالك.

المرأة: (بحزن) واستحالتي في الواقع تكمن في قبحي.

الرجل: لماذا عدت للواقع؟ كنت أتمنى أن تتمادي في خيالك، وتتصوريني الأمير الواقع في حبك، ألا يجوز لي أن أصبح أميرا في الخيال أنا الآخر؟

المرأة: ولكنك لا تطيق النظر إلى وجهي، فكيف أتصورك تحبني؟

الرجل: الخيال يبيح لنا كل شيء.

المرأة: ها أنت قلت ... الخيال... الخيال فقط.

الرجل: عجبا... وهل تتمنين أن أحبك حقا؟

المرأة: ولم لا؟

الرجل: وزوجك؟

المرأة: (مراوغة) حدثني عن زوجتك.

الرجل: كانت رقيقة وناعمة.

المرأة: نعم، وبعد...

الرجل: كانت تشبهك... لها نفس نبرات الصوت، والقوام... والنظرات، والظرف.

المرأة: (بمرح) نعم، وبعد...

الرجل: (منفعلا) ماذا تريدين أيضا؟

المرأة: صف لي حبك لها.

الرجل: بل صفي لي حبك له.

المرأة: أحبه، أحبه (حزينة) لكن جسدي تأذى، والقناع الذي يلبسني يستولي علي، أصبحت حبيسته، بل أنا أقبع تحت رحمته... لذا لا يحق لي أن أعبّر عن مشاعري وأحاسيسي...

الرجل: أنت جسدك تأذى وأنا روحي تأذت.

المرأة: أعرني جسدك وخذ روحي لنشفى.

الرجل: لكن روحك جريحة.

المرأة: أنت أفضل حال مني إذن.

الرجل: أتمنى أن يعود زوجك و ... (يصمت)

المرأة: ويرضى بي كما أنا...

الرجل: لو كان يحبك حبا حقيقيا سيرضى.

المرأة: نعم ، ولكن هل يحبني؟

الرجل: نعم يحبك... ولكن أمهليه حتى يهضم الواقع ويستوعبه.

المرأة: (بحماس) لن أتسرع أبدا... سأنتظر طويلا... ولكن ...

(الظلام دامس الآن)

الرجل: أنا لا أتبينك بتاتا، لكن صوتك عذب... هذا الصوت لا يمكن أن يصدر إلا عن تلك الأميرة التي تجلس في برجها العاجي.

المرأة: (بمرح) نعم، أكمل.

الرجل: أميرة باهرة، ذات وجه ملائكي، ونظرات تتسع لحب العالم بأسره.

المرأة: (سعيدة) أنت تراني هكذا إذن؟

الرجل: نعم.

المرأة: سوف أجعلك تراني هكذا إلى الأبد.

الرجل: كيف؟

المرأة: غدا... عندما تشرق الشمس، سوف أرتدي خمارا يحجب قبحي.

الرجل: (يضحك) لست مضطرة لهذا الآن.

المرأة: (بحزن) غدا سيطلع النهار.

الرجل: النور هو الحقيقة، والحقيقة أبقى من الخيال.

المرأة: (بقلق) ماذا تعني؟

الرجل: لن يفيدك التستر، سأراك على حقيقتك.

المرأة: تبا للحقائق التي تُظهر شوهاتنا، لماذا لا تغيب الشمس إلى الأبد، ليدوم هذا الليل ويدوم حتى ينقضي العمر.

الرجل: الشمس هي الحياة، والظلام موت.

المرأ: لنمت إذن ويبقى وهمنا الجميل بعدنا.

الرجل: سيموت وهمنا معنا.

المرأة: حيرتني... كيف أحافظ على جمالي الذي ارتسم في مخيلتك؟

الرجل: حسبي أني أحس جمالك الروحي.

المرأة: لكنك قلت أن روحي تشوهت.

الرجل: كنت أعرف أني لا أقول الحقيقة.

المرأة: أنا امرأة منسية الان.

الرجل: لست منسية بدليل أني اكتشفتك.

المرأة: (منفعلة) كيف؟

الرجل:اللآلىء تُستخرج من أعماق البحار حيث الظلام والموت، وأنا استخرجتك من ظلمات نفسك المتوارية خلف قناعك البغيض، الذي لا يلبث أن يزول أمام بريقك الروحي.

المرأة: لكن روحي جريحة، وأنت بتنكرك لي نكأت جراحها، لم يعد يفيد هذا الآن.

الرجل: مللتِ سريعا ، مع أنك...

المرأة: عندما يمرض الجسد يذبل ويذوي، ويذهب جماله، تعلوه صفرة الموت، والروح كذلك تفقد بريقها عندما تمرض.

الرجل: روح الأميرة تشفى عندما يعانقها الأمير.

المرأ: وأميري لم يعد بعد.

الرجل: يا الهي... أنت ... أنت ... لم تتغيري؛ حتى وإن اختفيت خلف قناع، سأمزقه وأصل إليك... اقتربي مني..

المرأة: سأخونه لو فعلت.

الرجل: تخونين من أيتها الحمقاء؟

المرأة: الرجل الذي يحبني.

الرجل: خونيني إذن .. (يحاول أن يدنو منها متلمسا طريقه إليها)

المرأة: لا تلمسني وأنت مضطرب هكذا.. لن أسمح لك بالاقتراب مني حتى تهدأ روحك وتطمئن إلي (برقة) حتى تزحف إلي بكامل إرادتك ووعيك...

الرجل: لماذا تعذبينني الآن؟

المرأة: الحقيقة عندما تكون قاسية عليها أن تراوغنا حتى نقبلها.

الرجل: وأنا قبلتها .

(يقترب منها ، يمد يديه في محاولة للمسها، وعندما يلمسها تبتعد)

الرجل: لا تبتعدي (يقترب منها ويضمها ، فتستكين)

المرأة: أخشى أن تتبدل.

الرجل: كفى حمقا (يضمها بقوة أكثر)

المرأة: يا لهذا الظلام الجميل الذي يحمل بين طياته الدفء والحياة... أصبحت أعشق الظلام كالخفافيش.

الرجل: ولكنك امرأة ولست خفاشا، أنت امرأة أشعلتني فتيقظت أحاسيسي التي كانت متبلدة.

المرأة: لقد أنعشت روحي.

الرجل: بل إني سأوقظ أنوثتك كما كنت أفعل فيما مضى.

(يتعانقان)

المرأة: دعني أغفو على صدرك.

(صمت تام، الرجل والمرأة يغفوان متعانقين، ثم إنارة حيث تتسلل خيوط الشمس، يستيقظ الرجل وهو محتضن زوجته التي لا تزال نائمة، ينهض وينظر إليها بذهول، لحظة ثم يصرخ)

الرجل: لاااااا.... ***

صدر للمؤلفة المسرحيات التالية:

١- شباك الحلوة ٢- كاهن المعبد

٣- مقتل شهرزاد ٤- الشحاذ حاكما

٥- عازف الناي ٦- مدينة الرهان

٧- حكاية توت ٨- الرباط الأزلي

٩- والمجموعة القصصية مطاردة النمال

*نشر إلكتروني:

١٠- (وكر الأفاعي) كتاب يحتوي على أربع مسرحيات.

١١- (دموع من رمال) مجموعة قصصية.

==*=*=*

*للتواصل مع المؤلفة (maysoonhanna897@gmail.com)

الفهرس

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
وكر الأفاعي (المسرحية ١)	٥
الدفين (المسرحية ٢)	٤٦
خيبة (المسرحية ٣)	٨١
السراب (المسرحية ٤)	١٢٥
إصدارات المؤلفة	١٥٠

تم كتاب

(وكر الأفاعي)